# الفصل الثالث

# البحث عن تفاهم مشترك

# بحثاً عن التفاهم المتبادل

## رسالة ن.س.خروتشوف لجمال عبد الناصر ١٩ فبراير ١٩٥٩[٥٠]

**سيادة الرئيس المبجَّل !**

كنتُ أود مشاركتكم بعض الآراء في ذلك الخطاب السري حول الموضوعات التي طُرحت مؤخراً من جانب مسئولي الدولة بالجمهورية العربية المتحدة مع المسئولين السوفييت في ضوء المباحثات. فقد تشكل لدينا انطباع من خلال حديثكم مع السفير السوفيتي قبيل زيارتكم لموسكو ومن خلال باقي المباحثات وتصريحات الصحف بالجمهورية العربية المتحدة، يفيد هذا الانطباع بأن الأحداث الأخيرة المعروفة قد أثارت حالة من القلق في حكومة الجمهورية العربية المتحدة حول مستقبل تطور العلاقات بيننا . وبات هناك حالة من الشك حول إمكانية تغيير علاقة الاتحاد السوفيتي إزاء حركات التحرر الوطني للعرب . نرى من وجهة نظرنا ضرورة توضيح الرؤية حول هذه المسائل الخطيرة فيما بيننا . تعلم سيادة الرئيس أه أصبح لدينا علاقات طيبة بين البلدين وقد لعب ذلك دوراً في الدفاع عن مصالح الأمن والسلام لدول الشرق، نذكر على سبيل المثال أيام أزمة السويس، أو الاستعداد لشن هجوم على سوريا، عندما كان هناك تحرك مشترك فيما بيننا لصد هجوم قوى الاستعمار المتكتلة بصعوبة بالغة . كما ساعد تعاوننا البناء في القضاء على الاحتكار الدائم لرأس المال الأجنبي الضخم في الحياة الاقتصادية لدول الشرق الأوسط و نحن سعداء للصعود المتنامي للاقتصاد الوطني لتلك الدول .

---

(٥٠) ن.س.خروتشوف، الصراع الشرق أوسطي. ١٩٥٧-١٩٦٧ من وثائق أرشيف السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية، موسكو، ٢٠٠٣، ص ص ٢٦٢-٢٦٥.

لقد كان التعاون فيما بيننا تعاوناً مثمراً على الرغم من أن الجميع يعلم بوجود وجهات نظر أيدلوجية مختلفة بيننا . ولكن ما يجمعنا هو النضال من اجل السلام، مواجهة الاستعمار والإمبريالية. لقد رأيتُ في بورسعيد أنه من الضروري أن تعبر عن رأيك في هذه القضايا[٥١]، ولهذا فقد كنا مضطرين للإعراب عن استيائنا أثناء اجتماع الحزب لدينا [٥٢].

لقد كان هناك اختلافات فكرية فيما بيننا منذ وقت مبكر، وبالرغم من ذلك فإن دولنا قادرة على مواصلة التعاون، كما نتعاون مع العديد من الدول الأخرى ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة. وإذا ما نظرنا للوضع الحقيقي للأشياء، لوجدنا أن أعداء علاقات الصداقة التي تجمع الاتحاد السوفيتي بالجمهورية العربية المتحدة يحاولون الآن استغلال تلك الاختلافات الأيدلوجية .و يحاول أعداؤنا المشتركون – المستعمرون البحث عن أية ثغرات لتوسيع رقعة الخلاف فيما بيننا ونسف علاقات الصداقة التي تجمعنا سوياً .

نعلم جيدا أن الدول الغربية تشي بنا لدى حكومة الجمهورية العربية المتحدة، وأرى ضرورة أن أوضح لك سيادة الرئيس وأقولها بكل صراحة أن مثل

---

(٥١) جاء في الخطاب الذي ألقاه الرئيس عبد الناصر في بورسعيد في ٢٣ ديسمبر١٩٥٨، اتهامه للحزب الشيوعي السوري المنحل رسميا في ذلك الوقت بأنه مناهض للقومية والوحدة العربية ووصف موقف الحزب بأنه رجعي وقريب من سياسة الصهاينة ( انظر موقع **www.egyptianjasis.net/archive/index.php/f-78.html**) كان خطاب عبد الناصر هذا بمثابة نواة لاختلال مناخ العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتي .

(٥٢) جاء في التقرير الذي قدمه خروتشوف في اجتماع الحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي، الذي انعقد في ٢٧ يناير١٩٥٩ : " نظراً للتصريحات الأخيرة التي ظهرت في الجمهورية العربية المتحدة والتي تناهض الفكر الشيوعي، فقد بات من الضروري الإعلان بأن لا يصح اتهام الشيوعيين بأنهم يساعدون في إضعاف او تشتيت الجهود القومية لمحاربة الامبريالية . على العكس، لا يوجد من هم أكثر حزماً وولاءً من الشيوعيين تجاه قضية محاربة الاستعمار <.....> وأن محاربة الأحزاب الشيوعية والتقدمية الأخرى هو عمل رجعي.كما ان انتهاج سياسة مناهضة للشيوعية هو امر لن يوحد القوى الوطنية، بل سيفرقها ويضعف جهود كل الأمم في حماية مصالحها من الإمبريالية . ولا يصح كذلك اتهام الشيوعيين بمحاربتهم للمصالح الوطنية للشعوب العربية .ومن السذاجة تشبيه الشيوعيين بالصهيونية . فالجميع يعلم جيداً أن الشيوعيين،حتى من هم داخل إسرائيل، يقاومون ضد الصهيونية ". انظر : الاجتماع الحادي والعشرين الطارئ للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي . تقرير مختصر . مجلد رقم ١، موسكو، ١٩٥٩ – ص٧٩.

تلك الوشايات التي تفتعلها القوى الإمبريالية لن تستطيع أن تؤثر علينا ولن تغير من علاقاتنا الطيبة مع الجمهورية العربية المتحدة .

لن تفلح هذه الدول في إيجاد مثل هذه الثغرات ؛ ولذلك سيظلون يبحثون عنها حتى من جانبكم . ويعلم الجميع أن محاربة الشيوعية هي عملية تُدار منذ مائة عام وأنتم تعلمون ما هي نتائج ذلك حتى الآن . وعلى آية حال فلا داعي للوقوف عند التفاصيل في هذا الموضوع . ومن خلال معرفتي بكم كشخصية سياسية في غضون سنوات قليلة، أريد أنأعرب عن أملي في إخفاق القوى الإمبريالية في العثور على تلك الثغرة لديكم لكي يتسنى لها هدم وحدة شعوبنا في محاربة الاستعمار . هل توجد أسس يمكن الاستناد عليها للقول بأنه لا يوجد الآن تهديد للجمهورية العربية المتحدة أو الدول العربية الأخرى من جانب الدول الامبريالية الكبرى، التي تدهس بأقدامها على أية حريات واستقلال الدول العربية، هل يمكن اعتبار أن العملية الصعبة للنهوض باقتصاد تلك الدول والقضاء على العواقب الوخيمة للاستعمار التي يتوارثها الدول منذ القدم، هل يمكن اعتبار أن تلك المعضلة وجدت حلا لها ؟

نحن على قناعة تامة بأن الوضع الحالي يتطلب تعزيز تلك الوحدة لمواجهة الإمبريالية والاستعمار. ويمكن القول صراحة إن قوى الإمبريالية باتت الآن تشكل خطورة كبيرة عليكم أكبر من خطورتها علينا، لأن الاتحاد السوفيتي وصل الآن إلى مرحلة من التطور تؤهله لأن يضع في خطط حكومته تلك المهام التي لا تستطيع الدول المتقدمة اقتصادياً وكذلك الرأسمالية القيام بها . كما نعلم جيداً أن الدول الغربية لا تألوا جهداً في البحث عن أية وسائل لخلق صراع بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة، فبمقدورهم أن يقدموا لكم وثائق حول «نشاط الحركة الشيوعية العالمية»، وهي وثائق مزيفة ولا تمت للواقع بأي صلة، حيث لديهم خبرة كبيرة في مجال تزييف مثل تلك الوثائق . أما في الولايات المتحدة الأمريكية، فهي حافلة بالوسائل المختلفة ولديها جيش كامل من الخبراء المتخصصين في عمليات تزييف

وتزوير المعلومات وتضليل الشخصيات السياسية والرأي العام في مختلف دول العالم، وذلك بهدف إفساد العلاقات القائمة بين الدول المحبة للسلام.

علمنا كذلك أن الصحف الإنجليزية والفرنسية كانت قد نشرت أنباء نقلا عن مصادر يوغسلافية تفيد بإعداد محاولة للاعتداء عليكم والصقوا هذه التهمة بالاتحاد السوفيتي. ولكنهم التزموا الصمت إزاء تلك المعلومات التي تؤكد أن أجهزة الاستخبارات الفرنسية والإسرائيلية هي من أعدت محاولة الاعتداء هذه. كما أنهم يمدونكم بمعلومات حول « تغلغل النفوذ الشيوعي « في اليمن من خلال الخبراء السوفييت، كما حاولوا ترويع القيادات اليمنية بتزويدهم بمعلومات عن « التطلعات الموالية للشيوعية « للرئيس عبد الناصر، وعن أي دور يقوم به الخبراء السوفييت لجذب حكومة الجمهورية العربية المتحدة للتعاون في بناء آية مشروعات داخل البلاد. أوضح التاريخ أن عملاء الإمبريالية يسعون دائماً لتحقيق أغراضهم الدنيئة والطامعة. وطالما أن الجمهورية العربية المتحدة ( ستظل أنت قائدها )، كانت وستظل تمثل غشاوة في عيون القوى الإمبريالية، فهم يحرصون على عزلكم عن الدول الأخرى المناهضة للإمبريالية لكي تنجح في الانتصار عليكم وحدكم.

أما فيما يتعلق بالاتحاد السوفيتي وحكومته، فإننا ندعمكم بإخلاص في نضالكم العادل لأجل الاستقلال والحقوق المشروعة للجمهورية العربية المتحدة في مواجهتها للاستعمار. لن تتغير علاقاتنا بكم بصرف النظر عن الظروف السياسية المؤقتة.

لقد عرفناكم شخصية بارزة في حركة تحرر الشعوب العربية من نير الاستعمار، وقد لعب النضال من أجل تحقيق الاستقلال الوطني و تحرير شعب مصر والشعوب العربية الأخرى من براثن الاستعمار، دوراً كبيراً في صعود حركة التحرر الوطنية لشعوب قارتي آسيا وإفريقيا. لقد استقبلنا بكل ارتياح تصريحكم، أثناء حديثكم مع السفير السوفيتي، حول أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة لا تفكر في تغيير سياسة الصداقة التي تجمعها

والاتحاد السوفيتي . ويسرني الإشارة إلى التعاون الوثيق والصديق والعلاقات الاقتصادية والثقافية بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة . و نحرص من جانبنا على تعزيز وتوسيع تلك العلاقات بالرغم من وجود مهام داخلية جسيمة ملقاة على عاتق الاتحاد السوفيتي لتطوير اقتصادنا الاشتراكي وتأسيس الشيوعية .

عندما كنتُ في موسكو، لاحظت أن المباحثات تسير في جو من الصداقة والثقة المتبادلة، حيث كان هناك عملية لتبادل الآراء في شتى الموضوعات على صعيد القضايا الدولية والإقليمية. ولم نخف حرصنا على تطوير دولتكم والتشجيع على ظهور قوى جديدة بها وأن يعلو دورها البارز كعامل مهم في العالم لتحقيق الاستقرار والازدهار في الشرق الأوسط . وأريد أن أوضح في هذا الصدد أن فكرة الوحدة بين مصر وسوريا كان فيها نوع من العجلة والتسرع لأنه لم يوضع في الاعتبار الخصائص والسمات لتلك الدول . ولكننا نحرص على تقديم المساعدة في إطار الصداقة لبناء دولة جديدة و نحذر من مغبة ظهور صعوبات في وقت لاحق . كانت هذه هي وجهة نظرنا والآن تشاهدون بأعينكم نتائج تلك السرعة التي أدت إلى عواقب غير محمودة كان من الممكن تجنبها .

أما فيما يتعلق بمسألة علاقة الجمهورية العربية المتحدة بالشيوعيين، فإن الاتحاد السوفيتي لا يتدخل ولا يعتزم التدخل في الشئون الداخلية للجمهورية العربية المتحدة، على الرغم من أنكم، سيادة الرئيس، عندما انطلقتم في طريق التقارب مع دولتنا كنتم تعلمون أننا شيوعيون، ولا يمكن أن ننتهج سياسة معادية للشيوعية التي نعتبرها سياسة صحيحة وسليمة، وليس هناك ما هو جديد في ذلك لا بالنسبة لكم ولا لنا .

وإنني أشاركك الأمل في أن يتم تعزيز العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة . وفي الختام أريد القول بأن التلخيص الصريح لوجهة نظرنا كما ورد في هذا الخطاب يُعد أفضل دليل على التفاهم المتبادل

بيننا وهو تطوير مستقبلي للعلاقات الصديقة في مواجهة الاستعمار، ودعم الأمن والسلام في منطقتي الشرق الأوسط والأدنى .

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام،،،

الأرشيف الروسي - الحكومي للتاريخ المعاصر، ملف رقم ٥٢، ن.س.خروتشوف، حافظة رقم ١. قضية رقم ٦٣٥، الأسطر من ١٢٤-١٤٤، نسخة مطبوعة آليا، يوجد ملحوظة بخط اليد مقابل الصفحة الأخيرة مكتوب فيها « تم إرسال ذلك الخطاب الموقع عليه خروتشوف إلى القاهرة لأجل تسليمه للمرسل إليه- ١٣ابريل ١٩٥٩ «

# رسالة ن.س.خروتشوف لجمال عبد الناصر[٥٣]

## ١٢ أبريل ١٩٥٩

**سيادة الرئيس الموقر!**

انتهز فرصة ذهاب سفيرنا[٥٤] إليكم بالقاهرة لكي أرسل معه رسالتي هذه. فقد أردت التذكير بتلك اللقاءات والمباحثات الصادقة المخلصة التي جرت أثناء زيارتكم لبلادنا، فقد شاركنا أفكارنا بشكل صريح وخاصة فيما يتعلق بخطاباتكم الأخيرة. لا أخفيك سراً، إننا هنا في موسكو نشعر بالأسف إزاء ما آلت إليه العلاقات بين بلدينا خاصة وأنها أصبحت تزداد سوءا ولم نكن نحن من تسبب في ذلك.

لقد ذكرتُ في رسالتي السابقة عدة اعتبارات أعتقد أنها وجدت الاستيعاب والقبول لديكم .غير أن تفاقم العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية العراق بات دافعا لتلك التصريحات الموجهة للاتحاد السوفيتي والتي من الصعب علينا تحملها، خاصة مع الوضع في الاعتبار المعني الحقيقي الذي تحمله طبيعة علاقات الصداقة التي تجمعنا لدعم السلام ليس فقط في الشرق

---

(٥٣) الأرشيف الروسي – الحكومي للتاريخ المعاصر،ملف رقم ٥٢، ن.س.خروتشوف، حافظة رقم ١، قضية رقم ٦٣٥، الأسطر من ١٢٤-١٤٤، نسخة مطبوعة آليا، يوحد ملحوظة بخط اليد مقابل الصفحة الأخيرة مكتوب فيها " تم إرسال ذلك الخطاب الموقع عليه خروتشوف إلى القاهرة لأجل تسليمه للمرسل إليه، ١٣ابريل ١٩٥٩ ". تم نشر مقاطع من هذا الخطاب مترجما لأول مرة باللغة لالانجليزية في كتاب **Hiekal,Mohamed.Naser.the Cairo Documents. London 1972, p.133-137.**، وتم نشره باللغة الروسية باختصار في مجلد : الصراع الشرق أوسطي ١٩٥٧-١٩٦٧ من وثائق أرشيف السياسة الخارجية لدولة روسيا الاتحادية، موسكو ٢٠٠٣، ص٢٦٧-٢٧٥ .

(٥٤) كان السفير الروسي آنذاك بالقاهرة هو يفجيني دميتريفيتش كيسيلييف .

الأوسط، بل وفي العالم اجمع . ومن الصعب تنسيق ذلك الوضع مع المصالح القومية للطرفين النابعة من ضرورة المواجهة المشتركة للعدو العام، الممثل في الإمبريالية، تلك القوى التي مازالت قوية وقادرة على تحقيق ما يعود عليها بالنفع وإلحاق الضرر سواء كان بنا أو بكم من جراء أية خلافات تنشأ بيننا .

لم نخف عليكم مدى رضائنا عن العلاقات الوثيقة التي تشكلت لدينا معكم ومع باقي قيادات مصر الجديدة ثم الجمهورية العربية المتحدة . والأمر لا يقتصر فقط داخل الاتحاد السوفيتي، أو في الجمهورية العربية المتحدة، بل ومع سائر الدول الأخرى التي تشكلت معها علاقات نرى أنها عامل لإقرار الأمن والسلام في الشرق الأوسط والأدنى . وتقول لنا خبرتنا في هذا المجال أن تلك العلاقات الجيدة ستظل قائمة بالرغم من الاختلاف الواضح في وجهات نظرنا الأيدلوجية واختلاف النظم السياسية الحاكمة .

أريد أن أصارحك القول بأننا نأسف، بل نحزن على الوضع الذي وصلت إليه طبيعة العلاقات بين جمهورية العراق والجمهورية العربية المتحدة، فهذا لا يساعد في دعم وتعزيز التضامن بين الدول العربية في نضالها للحفاظ على استقلالها الوطني . ولا يمكن النفي بأن حدوث انشقاق في صفوف الدول العربية سيصب في صالح قوى الاستعمار والإمبريالية التي مازالت غير مقتنعة بفكرة أن الوقت الذي كانوا يسيطرون فيه على الشرق العربي قد ذهب وولى بلا رجعة . خير دليل على ذلك يتمثل في العدوان الثلاثي على مصر وتلك المغامرة العسكرية التي تم إعدادها لضرب سوريا، التدخل العسكري الأمريكي- الإنجليزي في لبنان والأردن .

لقد ذكرت أكثر من مرة سيادة الرئيس في حديثكم أن الاتحاد السوفيتي لم يكن يعتزم جدياً تقديم المساعدة لكم أثناء تعرض بلادكم للعدوان الثلاثي وعندما كان هناك خطر يهدد سوريا . ولكنك تدرك جيداً سيادة الرئيس أن هذا لا يمت للواقع بأي صلة . لقد كانت كل تحركاتنا وخططنا التي وضعناها عند تعرض بلادكم للعدوان الثلاثي أو لحظة ظهور

خطر يهدد سوريا، كانت تلك الخطط تهدف إلى تقديم المساعدة الفعالة لمصر وسوريا على حد سواء. لابد وأن تدركوا جيدا أننا كنا على استعداد لاتحاد خطوات بعيدة المدى لوقف تحركات المعتدين المعادية لاستقلال الشعوب العربية. تذكر سيادة الرئيس أنه عندما وقعت الثورة بالعراق، تباحثنا سويا في موسكو تلك الموضوعات المتعلقة بإمكانية وجود أي رد فعل من جانب المعتدين ضد الشعوب العربية، قلتُ لك آنذاك، إننا سنتخذ كافة الإجراءات الممكنة من جانبنا في حالة إذا ما وقع هجوم على جمهورية العراق، وقلتُ كذلك انه يتعين علينا اتخاذ كافة الإجراءات لأجل معالجة أية مشاكل من خلال الطرق السلمية دون إشعال فتيل الحرب.ونظراً لمعرفتنا بحجم اندفاعكم، فقد خشينا أن يسهم دعمنا ومساندتنا غير المحدودة لخططكم العسكرية، في إقدامكم على إشعال لهيب العمليات العسكرية، التي نراها غير مرغوبة وكان من الممكن أن تعتقدوا أننا نبارك تلك العمليات.

يجب عليك سيادة الرئيس وان تتذكر أيضا أنه عندما توجهت إلينا باقتراح إرسال قاذفات متوسطة وصواريخ متوسطة المدى إليكم، قلتُ لك آنذاك أن مساحة أراضيكم صغيرة إلى حد ما ومن الصعب استخدام مثل تلك الوسائل العسكرية في أراضيكم.

وسألتك وقتئذ لماذا صواريخ متوسطة المدى على وجه التحديد، أجبتني أنكم في حاجة لصواريخ متوسطة المدى لمسافة من ٥٠-٧٠ كم. أوضحت لك أن الصواريخ المتوسطة المدى لدينا تعمل على مسافة من ٢٠٠٠-٤٠٠٠ كم ولن تناسب احتياجاتكم، وإذا ما كان هناك ضرورة لاستخدام مثل تلك الصواريخ، لقلتُ لك إنه من الأفضل استخدامها من أراضينا.

لا أريد أن أخفي عليك أيضا أننا لم نوافق على اقتراحك الخاص بإرسال مقاتلات وصواريخ متوسطة المدى إلى بلادكم، لأننا كنا نعني انه في لحظة الذروة وتفاقم الوضع، سيكون بمقدوركم اتخاذ إجراءات غير مرغوب فيها والتي من شأنها وأن تشعل نيران الحرب.

تعلمون جيداً أننا كنا على استعداد لتقديم المساعدة سواء كان لكم أو لجمهورية العراق بعد اندلاع الثورة فيها في يوليو ١٩٥٨، عندما أعدت تركيا، إيران وباكستان عمليات عسكرية ضد العراق. وانطلاقاً من تقديرنا للوضع الدولي والظروف الراهنة في ذلك الوقت، فقد رأينا أنه من الممكن عدم السماح للتدخل ضد العراق بوسائل أخرى دون اللجوء لإشعال الحرب. وقد تحققت توقعاتنا من خلال الأحداث اللاحقة، التي أوضحت أننا كنا عل حق في إمكانية تجنب اندلاع نيران الحرب بالطرق السياسية. وعندما قلنا لكم إننا سنتخذ كافة الإجراءات الضرورية لتقديم المساعدات اللازمة لكم، تذكرون جيداً انه تم اتخاذ الإجراءات اللازمة على حدودنا مع تركيا وإيران مما يعني أننا على استعداد لتقديم المساعدة لأشقائنا العرب في أي وقت. وتتذكرون انه تم اتخاذ مثل تلك الإجراءات من جانب بلغاريا أيضا. وبالتالي فإن اعتقادكم بأنكم تحاربون العدو بمفردكم هو اعتقاد خاطئ ولا أساس له من الصحة.

أريد الإشارة بكل صراحة إلى أننا نعرفكم كشخصية اندفاعية وحماسية، ولم نرغب في أن يتم تفسير مساعدتنا العاجلة لكم على أننا ندفعكم نحو التحرك العسكري. نحن نثق في سياستكم الداعية للسلام ووعودنا لدعمكم ومساندتكم وكذلك لباقي الشعوب الشقيقة، وحرصنا على فعل كل شيء لكي يتم حل الصراع الذي نجم نتيجة العدوان الثلاثي على مصر، بالطرق السلمية وتجنب إمكانية إشعال نيران الحرب أثناءالأزمة السورية.

كنا على استعداد كذلك لاتخاذ إجراءات حاسمة لتقديم المساعدة الفعالة سواء لمصر أثناء العدوان الثلاثي عليها أو لسوريا أثناءأزمتها. ولكن السؤال الذي أطرحه هو لماذا لا تفسرون كل هذا الآن بشكل صحيح؟ أريد أن أتوقف عند موضوع واحد، يجب وان تتذكر عندما كنت لدينا في موسكو، وقد أعربت في إحدى المباحثات بيننا عن استيائك من حكومات

الـدول العربية المجـاورة لكم، وطلبت أن نفعل أي شـيء لأجـل تغيير الوضع الداخلي لتلك الدول الـتي باتت تتعامل بعداء مع الجمهورية العربية المتحدة وما طبيعة المسـاعدة التي يستطيع الاتحاد السـوفيتي تقديمها في هذا الشأن إذن ؟ جـاء الرد من جانبنا كما تتذكر بأننا طلبنـا ضرورة التحلي الصبر ولا داعي للتدخـل في شـئون الـدول الأخرى . ويمكـن التأثير على تلك الـدول من خلال النمـوذج الجيد للجمهوريـة العربية المتحـدة عندما يتم النهـوض باقتصادها، ثقافتها، تحقيق الرفاهية وتحسين مستوى المعيشة لشعبها . وكانت نصيحتي لكم تتمثل في أن يصبح نظامكم الاقتصادي والسياسي عامل جذب لباقي الـدول العربية حتى تقوم شـعوب تلك الدول بالتأثير علـى حكوماتهم لكي تحذو حذوكم . ولابد من الوصول إلى هذا الوضع حتى تتكاتف الدول العربية وتقـف صفاً واحداً لمواجهة الخطـر الرئيس الذي يهددها والـذي يتمثل في قوى الإمبريالية والاستعمار التي تقف لها بالمرصاد .

ابتسـمت لي آنذاك قائلاً إنني لا أنظر بشـكل واقعـي إلى الوضع في الدول العربية وأن لا شـيء سـيتغير دون التدخل العسـكري ولابد من اتخاذ إجراءات أكثر حسما.

قلـتُ لك إن أي تدخل سـواء كان عسـكري أو غيره في الشـئون الداخلية للـدول العربيـة هو أمر خطير للغاية وانه لن يـؤدي إلى التماسـك، بل سيشـتت جهود تلك الدول.

ولكن يبدو أنني لم أفلح في إقناعك ولهذا فقد ظل كل واحد منا متشـبثا برأيـه . وجـاءت الأحـداث التاليـة بالعراق لتؤكـد على صـدق حديثي معك، فعندمـا تعجلت في تعاملـك مع المسـألة العراقية وحكومتهـا، لم يـؤد هذا إلى تماسك ووحدة الدول العربية، بل على النقيض من ذلك، أدى إلى تشتيت جهود تلـك الـدول في نضالهم نحو الاسـتقلال . ومثل هـذا الوضع يصـب بالطبع في صالح قوى الاستعمار والإمبريالية وليس لصالح الدول العربية .

نحـن نميل إلى ذلك الـرأي الذي يفيد بأنـه عندما يتم إملاء أية شـروط من الخـارج على دولة ما، فإنها دائماً ما سـتكون في وضع المدافع ولن تسـمح بأي تدخل أجنبي في شئونها .

لماذا اعترضتُ إذن ورفضتُ بشـكل قاطع وجهة نظرك في هذا الشأن ؟ لأنني رأيـتُ أنـه عندمـا تحدثت معـي في هذا الموضـوع، كنت ترغـب في أن تضمن دعمنا ومساندتنا لتحركاتك، وحاولت أن أوضح لك بكل صراحة أننا لم ولن نسهم في ذلك ولانستطيع المشاركة في أي عمل يمثل تدخل دول ما في شئون الدول الأخرى .

و نحـن مـن خـلال قدراتنا، نحـرص على مسـاعدة الـدول العربيـة؛ لمواجهة الاسـتعمار وتعزيـز اسـتقلالها الوطـني والنهـوض باقتصادها. تسـعى بلادنا كذلك لتعزيز علاقاتها مع كافة الدول العربية طالما أنها ترغب في ذلك. نحن لانفرض صداقتنا على أي طرف ولا يمكن فرض الصداقة، إذا ما كانت صداقة حقيقية وليسـت تلك التي يتشدقون بها في الأوسـاط السياسية والعسكرية لحلف الناتو، خاصة عندما يتم إعداد تحرك عسكري ضد دولة ما .

فنحن نبني علاقاتنا وفقاً لمبادئ لينين في التعايش السلمي وعدم التدخل في الشـئون الداخلية للدول الأخرى . أريد أن اكرر مـرة أخرى أن مبدأ عدم التدخل في الشـئون الداخليـة للـدول الأخـرى يُعد بالنسـبة لنا – الاتحاد السـوفيتي – وكل الدول الاشتراكية هو مبدأ ثابت وراسخ ولا يتزعزع . وليس من الصعب عليكم رؤية العلاقة القائمة بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العراقية على وجـه التحديد وباقي الدول العربية الأخـرى هي علاقة مبنية على نفس المبادئ التي تأسست عليها العلاقة بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة.

نـدرك حجـم الصعوبـات الـتي ظهـرت لديكـم، ولكننـا على يقـين تام منـأن رؤيتكـم في التغلـب عليها من خـلال إعـلان التحرك ضد الشـيوعية و«الشـيوعية العالمية» هو أمر غير صحيح . فالطريق الذي لجأتم إليه هو طريق

كاذب ولن يحقق لكم لا الفخر والعزة ولا الرضاء. وذلك الإطراء والمديح والموجه للجمهورية العربية المتحدة، الذي يسرف فيه أعداؤها القدامى، لا يمكن وأن يضلل أي فرد عن الوجه الحقيقي لسياستهم المعادية للمصالح الحيوية للشعوب العربية. وفيما يتعلق بطبيعة تلك الصعوبات التي ظهرت لديكم، فإنني على يقين من أن الأسباب التي تقف وراء ظهورها هي من اختراع قوى الاستعمار والامبريالية. وفي العام الماضي أثناء لقائي معكم سيادة الرئيس، تطرقنا إلى مسالة تطوير حركات التحرر الوطنية في الدول المستعمرة وشبه المستعمرة، وتشير التجربة إلى انه في المرحلة الأولى من حركات التحرر الوطني، كان هناك تكاتف ملحوظ لكل طبقات المجتمع بداية من الطبقة العاملة والفلاحين المعدمين وصولاً إلى ممثلي الطبقة البورجوازية الوطنية وبعض الإقطاعيين. وهكذا تم تحقيق النصر في النضال لأجل التحرر الوطني واستقلال البلاد.

غير أن تحقيق الاستقلال الوطني لا يعني نهاية النضال، بل هناك مرحلة ثانية تلى تلك الأولى، وذلك عندما تظهر مهمة القضاء على العواقب الوخيمة التي خلفها الاستعمار والنهوض بالاقتصاد الوطني للبلاد وتلبية المتطلبات المادية للشعوب الكادحة التي عانت وتكبدت لقرون طويلة ليس فقط الاهانة السياسية، بل وكذلك الفقر والعوز الشديد، فهذا إذن يُعد نضال ضد الظلم الاجتماعي.

تعلم جيدا أكثر مني انه تم حرمان عدد هائل من شعوب المشرق العربي من الظروف البدائية للحياة وحرموا كذلك من الحريات السياسية وقد أشرت أنت أكثر من مرة إلى ذلك في أحاديثك. وظلت مسألة تحسين ظروف المعيشة هو حلم يراود الشعوب على مدار سنوات الاستعمار الثقيلة. وبعد القضاء على الاستعمار والانتصار على الإمبريالية وتحقيق الاستقلال الوطني، يأمل هذا الشعب في تحقيق حلمه الذي طال انتظاره لسنوات طويلة.

وكما هو معروف في الواقع، فإن تلبية احتياجات ومتطلبات كل هذه الشعوب وتقديم حقوق معينة له، هو أمر يثير سخط وغضب ومقاومة تلك الفئة التي ترى في ذلك انتقاص لحقوقها وعبث بمصالحهم وأغراضهم الطامعة . غير أن الحرص على تحسين ظروف ومستوى معيشة الشعوب وتحقيق الحريات الديمقراطية لهم هي ظاهرة حتمية ومشروعة . وأعتقد أنك توافقني الرأي في انك لست أول من يواجه ضرورة معالجة تلك القضايا الاجتماعية المعقدة و تلك الصعاب التي لم تكن من اختراع الشيوعية بأي حال من الأحوال . يحاول أعداء الشيوعية منذ مائة عام تشويه مبادئ وتعاليم الشيوعية و يحاولون تصدير أنماط كاذبة للناس عنها . وفي الحقيقة فإن الشيوعيين هم أفراد يعملون على تحقيق الحريات للبشرية، و على تنمية وتطوير قوى الإنتاج وتنمية الثروة المجتمعية وتحقيق الرخاء والازدهار الكامل للقوى المادية والمعنوية للشعوب إلى جانب التنمية الشاملة للثقافة . وإذا ما تحدثنا باختصار، سنجد أن الشيوعية هي طبقة من طبقات المجتمع، يعيش في ظلها الأفراد تحت سقف العدالة الاجتماعية الكاملة والتلبية الشاملة لمتطلباتهم المعنوية وعدم الشعور بأي نقص في المأكل، المشرب، المسكن، اللبس، كما لديهم يوم عمل قصير . يستطيع كل فرد في المجتمع الشيوعي أن يجد استخدام لقدراته العقلية والبدنية في أي مجال .

أما فيما يتعلق بالسياسة الخارجية، فيرى الشيوعيون أن المهمة الأساسية أمامهم تتمثل في النضال من اجل السلام، لأجل أن يكون هناك تعايش سلمي بين الدول المختلفة والأنظمة السياسية والمجتمعية المختلفة . إنهم دائما يتصدون لأي اعتداء أو تدخل في الشئون الداخلية للدول و يحرصون على حق الشعوب في تقرير مصيرها بشكل كامل وغير مشروط ؛ ولهذا لم يكن من قبيل الصدفة أن يقف شيوعي كل الدول في مقدمة صفوف هؤلاء الذين اعترضوا على العدوان الإمبريالي على مصر .

والآن نجد أن القوى الإمبريالية في الجمهورية العربية المتحدة تستفيد كثيراً من ذلك الموضوع المبتذل الذي يدور حول أن الشيوعيين يخضعون لتنفيذ الأوامر من الخارج وخاصة في الدول العربية . ولكن من الضروري بالنسبة لنا أن يكون واضحا لكل القادرين على رؤية الحقيقة كما هي في الواقع، أنه من المستحيل اقتحام الشيوعية من الخارج لأن هذا ليس موضوعا للنقاش ولا التصدير . و في محاولة لتفنيد تلك الأقاويل التي تدور حول أن الشيوعيين يمارسون نشاطهم من خلال « الأوامر الصادرة لهم من موسكو «، دعنا نكشف تلك الحقيقة التي تفيد بأن الشيوعية كتعاليم ظهرت منذ سبعين عام قبل تشكيل الدولة السوفيتية في عام ١٩١٧،فنحن نعيش أكثر من أربعين عام بعد اندلاع ثورة أكتوبر الاشتراكية المجيدة، ودعني أؤكد لك انه لا يوجد أي فرد سواء كان داخل بلادنا او خارجها يستطيع القول بالحزم أن السلطة السوفيتية فُرضت علينا من الخارج. ترى هل يستطيع أي شخص نفي ودحض تلك الحقيقة التي تفيد بأن الحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي يحظى باحترام شديد وسمعة طيبة بين أوساط العمال والكادحين في كل أنحاء العالم ؟ وبناء على ذلك، هل يمكن الخروج بنتيجة مفاداها أن العلاقة بين الأحزاب الشيوعية في كل الدول مبنية على خضوعها للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي ؟إنالأحزاب الشيوعية والعمالية تُعد أحزاب مستقلة بالكامل في اتخاذ قراراتها ومعالجة أمورها السياسية وغيرها، وهذا الأمر لن يتغير بسبب مهاترات البعض الذين لا يروق لهم الفكر الشيوعي . وكانت تلك هي أفكاري التي أردتأن اطرحها عليك باختصار عن الشيوعية والشيوعيين .

لقد أعلنا وسنعلن مرة أخرى أننا نتمسك بموقفنا الذي يتمثل في عدم التدخل في شئون الدول الأخرى، وخاصة الشئون الداخلية لأن هذا شأن تلك الشعوب وحدها . تتذكر سيادة الرئيس أنك طرحت فكرة محاربة الشيوعية العاملة خارج حدود بلادك، أي انك تبارك وتعلن محاربة الشيوعية العالمية . تريد اتهامنا بأننا نتدخل في الشئون الداخلية، ولكننا نقول إن هذا هو شعار

القـوى العدائيـة بالعالم التي تحـارب الشـيوعية العالمية . وأنتم بهـذه الطريقة تتدخلون في شـئوننا، لان دولتنـا قائمة على مبادئ ماركـس – لينين، وهذه المبادئ قد أثبتت نجاحها، وقد تفضلت ورأيت ذلك بنفسـك عندما حللت ضيفاً عندنا، وهذا هو ما لا ينفيه الأوسـاط الرجعية في الدول الأخرى . ويبدو واضحاً أننـا لم ولن نقف بمعزل في هـذه القضية ولن نلتزم الحياد ، لأن هذه حرب ضدنا وضد باقي الدول الاشتراكية . لا أحد يستطيع أن يجادل في مسالة أن العلاقة تجـاه الأحزاب القائمة في كل دولة، بما فيها الشـيوعية، هو شـأن تلك الدول ذاتها، وأن مثل هذه المسائل ليست من اختصاص ولا صلاحيات حكومات الدول الأخرى. فأنتم لم تكونوا مناصرين للشيوعية ولا لمبادئها الخاصة ببناء كيان الدولـة، بل قمتم بقمع وإخماد التنظيمات التقدمية والشـيوعية لديكم . لم نعارضكم إذن ورأينا أن ذلك لا يجب وأن يفسد الصداقة القائمة بيننا ولا أن يقف عائقاً في طريق تلك الصداقة ولا ينعكس على جهودنا المشتركة في مواجهة الامبريالية .

وبالتالـي فإنكـم الآن أصبحتـم في حالـة تناقـض : تكيلـون لنـا الاتهام بالتدخل وانتم أنفسكم تتدخلون في شئوننا . وظللت تعلن في خطبك الأخيرة إن موسـكو هي من تقود بزمام الشـيوعية في الجمهورية العربية المتحدة وأن الشـيوعيين في باقي الدول العربية يعتبرون عملاء لموسكو . وأصبحت تلقي بالهجمات المباشـرة وغير المباشـرة على الاتحاد السـوفيتي . وأصبحنا في موقف المدافع ولكننا سنهاجم في وقت ما . ومن هنا فقد تقرر أنه في حالة إذا ما توقفتم عن التدخل في شـئون الدول الشـيوعية، بما فيها شـئون دولتنـا، وتوقفتم عن معارضتنـا، فلن يتم المسـاس بكم . وإذا ما واصلتم مـا انتم عليه الآن، فإننا لن ندع الأمر بدون رد . ولكنكم تعلمون جيداً قياساً على نموذج باقي الدول، إن علاقة الاتحاد السـوفيتي بهذه الدول قائمة بصرف النظر عن كيفية تعامل هذه الدول مع الشيوعية بها .

كما أنك كنت تؤكد في خطاباتك الأخيرة، وكأنك تواجه شبح تدخل الاتحاد السوفيتي في شئون بلادكم، مستنداً إلى المباحثات التي دارت بيننا أثناء زيارتك الرسمية لبلادنا في أبريل - مايو ١٩٥٨، وأثناء زيارتك ليوغسلافيا بعد اندلاع الثورة بالعراق. وكنت تجاهر بذلك في ضوء إحدى تلك المباحثات وكأنني قلتُ لك انه كان من الأفضل لو يواصل الحزب الشيوعي عمله في سوريا.

لقد قضينا معكم وقتا طويلا في مباحثات يغلب عليها جو الصداقة والصراحة، وكانت المباحثات طويلة معكم في زيارتكم الأخيرة لنا. أتذكر تلك المباحثات جيداً، و لكن يجب الإشارة إلى أنك لا تتذكر بدقة جيدة مضمون تلك المباحثات، والدليل على ذلك إنكم لا تقومون بتسجيل تلك المباحثات وتعتمدون فقط على ذاكرتكم. وإنني أنا الآخر اعتمد على ذاكرتي، ولكن يجب وأن يكون بجانبها التسجيلات التي يدونها المترجمون للمباحثات. وبالتالي فإن ملخص الموضوع يكون أكثر دقة. وفيما يتعلق بملاحظاتك إزاء الشيوعيين السوريين، نظراً لأنني اعلم مسبقا وجهات نظرك المعادية للشيوعية وسياستك في تعقب ومطاردة الشيوعية في بلادك، فإنني لا أستطيع أن أتوجه إليك بمثل هذا التصريح بشأن نشاط الحزب الشيوعي في سوريا، لأنني اعتبرت ذلك أمرا لا يليق بعلاقتي معك، كما أنك كنت ضيفي لوقت ما.

وعندما تحدثنا عن الوضع في الجمهورية العربية المتحدة، فقد ذكرت الشأن السوري والوحدة مع مصر وقلتُ أن الوحدة بين البلدين هو شأن داخلي لشعوب هاتين الدولتين، وان الاتحاد السوفيتي قد اعترف ورحب بتلك الوحدة ولم يكن لدينا أي تشكيك فيها ولا يوجد الآن ما يستدعي عدم الثقة بها. وقلتُ وقتئذ إننا لا نعتزم التدخل في هذه المسألة على الرغم من أنه بدا لي آنذاك أن تلك الوحدة قد جرت بصورة سريعة وبدون دراسة مسبقة. فقبل إعلان الوحدة بين مصر وسوريا، كانت سوريا تنعم بالعديد من الحريات الديمقراطية

أكثر مما هو عليه الحال في مصر، يوجد لدى سوريا أحزاب مختلفة و يحظى شعبها بحريات ديمقراطية بورجوازية معروفة . بالإضافة إلى ذلك، فقد كان لدى سوريا حكومتها، جيشها، شخصياتها السياسية ؛ التي كانت تلعب دوراً محدداً في السياسة الدولية . أما الآن فقد تم نزع الحريات الديمقراطية وحل الأحزاب وتحولت سوريا إلى محافظة داخل الجمهورية العربية المتحدة . ويبدو أنه أثناء عملية الوحدة لم يُراع كل تلك الاعتبارات، ووضعوا المؤسسات الديمقراطية لسوريا في ظروف مشابهة لتلك التي كانت عليها بمصر وهكذا تم استبعاد القوى الديمقراطية من الساحة . وكانت النتيجة أن معظم الشخصيات السياسية السورية باتت في مؤخرة الصف والبعض منهم ابتعد تماما عن الساحة وهاجروا خارج البلاد . أريد أن أذكرك بأن الحديث هنا لا يدور حول الشيوعيين، بل حول ممثلي الأحزاب الأخرى الذين كانوا يساندون فكرة الوحدة مع مصر، والآن يتعاملون بفتور إزاء تلك فكرة .

جاءت إجابتك آنذاك بأن السوريين أنفسهم هم من تعجلوا فكرة الوحدة مع مصر، ولكن نظراً لان الأحزاب السورية لم تكن تمثل الشعب، فإن التعاون معهم قد أثار حالة من الريبة والشك نحوك من جانب الشعب السوري . وقد أوردت لنا نموذجاً يتمثل في السيد حوراني – نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة – وأعربت عن عدم ثقتك الكاملة في نشاطه وسلوكه وأوضحت انه من المستبعد وان تعمل معه بعد ذلك في المستقبل ومن الواضح أن النية قد انعقدت على خلعه وعزله من منصبه . وكانت نصيحتي لك آنذاك بألا تقدم على هذه الخطوة، وإذا كنت تتذكر حديثي لك جيداً، فقد قلت لك لماذا تقوم بهذه الخطوة إذن، فإن نائبك السوري يعد زعيماً وقائداً لإحدى الأحزاب السورية، وإذا ما كان يشغل منصب النائب لديك، لرأى الناس أن زعيمهم يشغل منصب حكومي ما ولديه وضع سياسي، وإذا ما حاولت عزله من منصبه، فإنك بذلك تعارض هؤلاء الذين يُعد الحوراني زعيماً لهم .

وقلت لي آنذاك انك توافقني الرأي ولا ينبغي القيام بهذه الخطوة . فهل كان هذا في صالح الحزب الشيوعي ؟ لم اذكر لك آنذاك أي شيء عن خالد بكداش وباقي الشخصيات الشيوعية السورية الأخرى .

طرحت كذلك أثناء مباحثاتنا موضوع الشيوعيين في مصر . قلت لك أن هذا شأنكم، على الرغم من إنني لا أستطيع أن اخفي تعاطفي مع الحركة الشيوعية والشيوعيين . وقلت لي إن الشيوعيين لديكم ليسوا مثل أمثالهم لدينا، فهم في مصر عبارة عن حزب ضئيل لأفراد مغمورين من الدرجة الثانية، فهكذا كان حديثك عنهم بشكل مهين .

وطالما أنك طرحت هذه المسألة سيادة الرئيس، فإنني أجبتك بأن الشيوعيين، إذا ما كانوا شيوعيين بالفعل، فكلهم سواء، لأنهم يقفون على مبادئ ماركس – لينين، وإذا ما كنتم تعترفون بأننا شيوعيين جيدين وتعتبرون الآخرين غير أسوياء، فإنكم مخطئون في ذلك . وقد ذكرت مثال على ذلك أعتقد أنك تتذكره . فقد ذكرتُ انه قبل الثورة في روسيا كان القيصر الروسي يقوم بإحراق الشيوعيين وكان عددهم قليل جداً في ذلك الوقت، والبعض منهم ظل في السجون والباقي هاجر خارج البلاد . وبعد إسقاط دولة لينين العظمى، علي يد مجموعة صغيرة من الشخصيات الجسورة والمقدامة الذين عبروا عن آمال ورغبات الشعب الكادح، وتزعموا ثورة الشعب العظيمة. وقام الحزب السوفيتي بقمع الثورة المعادية، تم إنشاء أعظم دولة اشتراكية بالعالم .

قلت لي أثناء المباحثات إنك لا تريد أن يكون لديك أحزاب بوجه عام، وأن الحزب الذي سيكون لديك علي طراز الاتحاد السوفيتي هو حزب واحد – الاتحاد الوطني . ذكرتُ أن المثال الذي أتيت به ليس دقيقاً : يوجد في الاتحاد السوفيتي حزب واحد لأن المجتمع لدينا هو مجتمع اشتراكي لا يوجد به أصحاب رأس المال ولا ذوي الأملاك وليس لدينا أفراد يعيشون على حساب كد وعرق غيرهم . فإن الحزب الشيوعي بالاتحاد السوفيتي يعبر عن مصالح كافة الكادحين

وكل فئات الشعب، من العمال، الفلاحين، والمثقفين ولهذا فهو يُعد الحزب الوحيد في بلدنا .

يبدو أنك لم تنس سيادة الرئيس ذلك المثال الذي أوردته لك : فأنتم أيها العرب لديكم المسلمون المؤمنون من عمال، فلاحين، أصحاب رأس المال . وصاحب رأس المال هنا يرغم العامل على العمل طوال الوقت مقابل أجور زهيدة، والعمال هم عرب أيضا ومسلمون وموحدون، يريدون العمل قليلا والحصول على مزيد من الأموال . سألتك إذن : سيادة الرئيس هل أنت مع هؤلاء العرب ؟ و لم تعطنى إجابة على هذا السؤال .

أوردت لك مثالا آخر : فأنتم لديكم الفلاحون الذين لا يملكون الأرض ويعيشون عيشة حقيرة للغاية، يدفعون أموالا طائلة مقابل استئجار الأرض ولا يستطيعون إطعام أنفسهم ولا أهليهم . فهؤلاء العرب مسلمون وموحدون أيضا، ومنهم كذلك الإقطاعيون، الملاك، الذين يمتلكون مساحات شاسعة من الأراضي. يقومون بتشغيل الفقراء في أراضيهم . فهم يسلخون جلد هؤلاء الفقراء لاستغلالهم في زراعة تلك الأراضي، التي ليست ممنوحة لهم، بل هي عطية الطبيعة أو كما يقول الناس هبة من اللّه . فلماذا إذن يقوم البعض بالاستحواذ عليها والاستمتاع بها وكأنها من حقهم ويقومون بإجبار هؤلاء ممن ليس لديهم أراضي للعمل فيها مقابل الحصول على مبالغ زهيدة لا تكفي لإطعامهم ولا إطعام ذويهم ؟

هناك صراع يجري بين هؤلاء العرب، المسلمين الموحدين والفريق الآخر يتوجه بالدعاء إلى اللّه. سألتك سيادة الرئيس كذلك مع من ستقف من هؤلاء العرب، هل مع الكادحين من العمال والفلاحين أم مع أصحاب الأراضي ورأس المال ؟ وكيف يمكنك ان تجمع في حزب واحد العمال والبورجوازيين مع الفلاحين وأصحاب الأملاك؟ ولم تعطنى إجابة على هذا السؤال أيضا وكما أعتقد أنك لا تستطيع الإجابة عليه الآن أيضا.

لقد قلت في الحقيقة إنك مع كل العرب، ولكن هذه الإجابة كانت تصلح في حالة إذا ما كان الحديث يدور حول ذلك الوقت الذي كان فيه الشعب يقود نضالا وطنياً ضد الغرباء أو المحتل الأجنبي والاستعمار، ففي تلك اللحظة سيهب كل فئات الشعب للدفاع عن مصالحهم الوطنية. والآن بعد أن تم طرد المستعمر وإنشاء دولة وطنية مستقلة، أصبح أمام الشعب مهام أخرى جديدة، سيظهر صراع داخل المجتمع حول الحقوق الاجتماعية للكادحين وسيكون هناك صراع بين طبقات المجتمع، وهذه هي سنة التطور التي يجب وضعها في الاعتبار.

وقلت كذلك إن مسألة حقيقة الأحزاب التي سيتم حلها في بلادكم هو شأنكم أنتم وحدكم وما مدى صلاحية عملهم هل سيكون بشكل قانوني أم لا، ولكنهم سيظلون يعملون في كافة الأحوال. ولا يجوز استبعاد الصراع بين الطبقات من خلال استصدار القرارات والأوامر. سيظل هذا الصراع قائماً طالما أن هناك طبقات مختلفة وكل هذا يتعلق بالجمهورية العربية المتحدة وباقي الدول الأخرى التي يوجد بها تلك الطبقات.

وإذا ما كنتُ مضطراً للتذكير بمضمون تلك المباحثات في هذا الخطاب الشخصي لكم، فهذا من أجل تصحيح بعض الأمور الغامضة لديكم.

وقد ذكرت كذلك مسألة الاختلاف في وجهات النظر الأيدلوجية بيننا، نظراً لأنك ركزت اهتمامك على هذه المسألة في خطاباتك الأخيرة. وعلى الرغم من وجود اختلاف في وجهات النظر الأيدلوجية والأنظمة الاجتماعية لبلادنا، فهناك مساحة عميقة للتعاون المثمر الوثيق فيما بين بلدينا لصالح أمن وسلام الشعوب.

بالإضافة إلى ذلك، فقد أدهشتني تصريحاتكم المعلنة حول أنه كان هناك تدخل من جانبنا في شئونكم الداخلية، ولكن كما تتذكر، سيادة الرئيس، فقد تحدثت أكثر من مرة في مباحثاتنا في موسكو حول أنكم

اقتنعتم وأيقنتم بشكل نهائي أن الاتحاد السوفيتي لا يتدخل في شئون الدول الأخرى . والدليل على ذلك يتمثل في امتداحكم للخبراء السوفييت، الذين عملوا في الجمهورية العربية المتحدة، وأكدت على أنهم يقدمون المساعدة الفنية بشكل حاسم . وقلت لي آنذاك إنك تأكدت من عدم صحة تلك الأحاديث التي تدور حول أن الأحزاب الشيوعية تُدار من موسكو. وقلتُ انه كما هو معروفا لكم، أنه لا يوجد في مصر على سبيل المثال حزب شيوعي موحد، وإنما هناك مجموعات هشة ومفتتة وإذا ما كان النشاط الشيوعي في مصر يُدار من الخارج، لظهر حزب شيوعي مُوَحد بمصر إذن، وهو ما ليس له وجود على أرض الواقع . ويتضح من ذلك أنه في ذلك الوقت كان لديك، سيدي الرئيس، نظرة أكثر هدوء وموضوعية لواقع القضية عما أنت عليه الآن، حيث إنك تؤكد حالياً على شيء ما مناقض لما قلته من قبل .

كما سبق وأن قلتُ إننا نلتزم بمبدأ عدم التدخل في الشئون الداخلية للدول الأخرى ونرى أن الاختلاف في الفكر لا يجب وان يقف عائقاً أمام ذلك التعاون، وإذا ما كنت موافق علي ذلك، فيمكن الإعراب إذن عن رضائنا وارتياحنا لهذا الموضوع .

وقد حاولت في إحدى أحاديثك استعراض واقعة تاريخية، عندما تحدثت عن الشهور الأولى لميلاد الدولة السوفيتية، وأوضحت أنه بعد اندلاع ثورة أكتوبر تم حل البرلمان، الذي كان يضم الكثير من الأحزاب السياسية، ثم أصبح الحزب الشيوعي هو الحزب الأوحد بالبلاد . في حين أن هذه الرواية تخالف الواقع .

ففي المرحلة الأولى لميلاد الجمهورية السوفيتية لم تكن هناك حكومة ذات حزب واحد، بل هي حكومة ائتلافية، تضم ممثلي أحزاب اشتراكية ثورية، والمبعوث الشعبي لشئون الزراعة كان هو السيد كوليجايف، الذي كان عضواً بهذا الحزب . وظل ممثلو هذا البرلمان يشاركون في نشاط الحكومة السوفيتية إلى أن انسحب الاشتراكيون الثوريون من تشكيل الحكومة ولم يحاولوا تنظيم عصيان أو تمرد على سلطة العمال والفلاحين ولم ينفذوا

عمليـة اعتداء على قيادة العظيـم ف.إي.لينين . وكان مـن الطبيعي أن يتم القضـاء على مدبـري تمرد الثورة المضـادة ولم يضم تشـكيل الحكومة ولا أجهزة السـلطة السوفيتية ممثلي الأحزاب البورجوازية، التي توقفت عن العمل، باستثناء أراضي دولتنا، التي تم احتلالها بشكل مؤقت من قبل الحرس الأبيض المعـادي للثورة والمتدخلـين الأجانب . ثانياً: إن طبيعـة التعديلات التي أحدثتها ثورة أكتوبر المجيدة كانت تلبي مصالح قطاعات كبير من الشعب . ويُستدل على ذلك من خلال المراسـم التاريخية للسلطة السـوفيتية مثل مرسوم السلام، مرسـوم الأرض، انتقال الثروات الرئيسـية للبلاد إلى أيدي الشـعب . وبالنسـبة للبرلمان الذي تم تشـكيله قبل الثورة، فقد اعترض هذا المجلس التأسيسـي في أولى جلسـاته، التي جـرت في ينايـر ١٩١٨، على تلك التعديـلات العظيمة التي أوجدتها الثورة، وبالتالي فقد تم حله بناء على إرادة الشعب .

كل هـذا يـؤكـد سـيادة الرئيس علـى عدم توافـق روايتك مـع الحقائق التاريخية وانك تستند إلى معلومات غير صحيحة.

والآن أريـد أن أتوقف عند مسـألة المسـاعدة التي يقدمها الاتحاد السـوفيتي. لقد كنا وسـنظل دائمـاً أعداء للاسـتعمار، تلك الظاهرة المشـينة للمجتمع الإنسـاني المعاصر . وبالنسبة لمساعدتنا للدول التي تحررت من براثن الاستعمار، فانتـم تعلمون جيـداً ان تلك المسـاعدة غير مقترنة بأية شـروط سياسـية ولا عسـكرية . ولهـذا نجـد ترحيـب واعـتراف كبـير بهذه المسـاعدة سـواء من جانـب العرب أو باقي شـعوب إفريقيا وآسـيا . والهدف هنا من تقديم المسـاعدة لتلك الـدول لكـي تسـتطيع النهوض والوقـوف على قدميهـا، وتعزيز وضعها الاقتصـادي والسياسـي وتحسـين مسـتوى معيشـة شـعوبها . وليسـت هناك أيةأهـداف أخـرى يبتغيهـا الاتحاد السـوفيتي مـن وراء تلك المسـاعدات . كما بلغنا، سيادة الرئيس، أن هناك أصواتا تظهر في اجتماعات الجمهورية العربية المتحدة دون أن تجد لها أي دعم من جانب السـلطة، وهذه الأصوات تنادي قائلةً: «لا للروبـل ولا للدولار» . وهناك بعض الشـخصيات السياسـية التي تشـكك

صراحة في نزاهة المساعدات السوفيتية. لن أسهب بالتفصيل في الحديث عن الاختلاف الجذري والجوهري بين المساعدة السوفيتية ونظيرتها الأمريكية. ولكني أردت أن أطرح سؤالاً: «هل الروبلات السوفيتية تسيء لسمعة أي فرد في الجمهورية العربية المتحدة؟». من المعروف جيداً أن الاتحاد السوفيتي لم ولن يفرض مساعدته على أي طرف وإنما يقدمها عندما تُطلب منه فقط. وتعلم، سيادة الرئيس، أن الحصول على مساعدة من الاتحاد السوفيتي هو مسألة اختيارية بحتة والأمر متوقف عليك إذا أردت تلك المساعدة او لا. وإذا ما رأيت أن تلك المساعدة، التي وافقنا على تقديمها للجمهورية العربية المتحدة بناء على طلبكم، باتت تمثل عبئا عليك، وأردت التخلص من الروبلات التي نقدمها لكم وفقا للاتفاقيات، فبمقدوركم التخلي عنها. وكونوا على يقين من أن هذا لن يضيرنا في شيء وسنوافق على ذلك عن طيب خاطر. فنحن لدينا برنامج ضخم للتعاون الاقتصادي، ولا نريد فرض مساعدتنا على الدول التي ليست في حاجة لها وبدلاً من توجيه الشكر لنا، يقومون بتحريض شعوبهم ضد الدولة السوفيتية التي تقدم مساعدة نزيهة خالية من أية أطماع.

وفي ظل الوضع الراهن، عندما تُشن حملة داخل الجمهورية العربية المتحدة ضد الاتحاد السوفيتي، أي ضد الشعب السوفيتي، ألا يؤدي ذلك إلى ظهور عراقيل أمام الوفاء بالتزامنا تجاه اتفاق إنشاء السد العالي؟[٥٥]. آمل ألاّ يفسر ذلك بأنه تهديد من جانبنا، وإنما هو قلق إزاء تلك الحملة المضادة للاتحاد السوفيتي التي تُدار داخل الجمهورية العربية المتحدة وسيكون من الصعب علينا في ظل هذه الأجواءالوفاء بالتزاماتنا الخاصة بذلك الاتفاق، الذي وقعناه معكم. وهذا يعني أيضا أن يعمل الخبراء السوفييت، المضطرين للبقاء في دولتكم للعمل بها وإتاحة الحلول الفنية الصحيحة في مراحل تشييد السد العالي، في ظل أجواء غير لطيفة وهجوم ضدهم من جانب الأهالي.

(٥٥) تم إبرام اتفاق بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة لإنشاء مشروع السد العالي في ٢٨ ديسمبر ١٩٥٨ بالقاهرة.

لقد بدأت تتوارد إلينا الخطابات والرسائل من المواطنين السوفييت يعبرون فيها عن مخاوفهم على مصير الأفراد الذين سيذهبون إلى بلادكم. ويتساءل مواطنونا كيف يمكن إرسال الخبراء السوفييت إلى الجمهورية العربية المتحدة لتنفيذ بنود الاتفاقات المبرمة لتقديم المساعدة الاقتصادية، إذا ما كان هؤلاء السوفييت يتعرضون لضغوط ومخاطر معنوية بل ومن الممكن أن يصل الأمر إلى حد مخاطر بدنية أيضا. وفي ظل تلك الأوضاع الراهنة من الممكن أن يكون هناك أيضا دور للمتعصبين.

ولهذا نرجو أن تتفهموا أسباب قلقنا، وإذا لم تكونوا في حاجة لمساعدتنا الآن، فتخلوا عنها و نحن سنقوم باستدعاء مواطنينا للعودة إلينا وسنظل نحافظ وندعم العلاقات الثنائية معكم كما الحال مع باقي الدول. وعندئذ لن يصبح لديكم» أي تعاملات بالروبل « كما تصفون مساعدتنا النزيهة لكم.

ولا أخفي مدى دهشتي من تصريحكم الصادر في ٢٢ مارس عندما قلت فيه أنه أثناء العدوان الثلاثي الذي تعرضت له مصر في عام ١٩٥٦، كان اعتمادكم فقط على الله وعلى أنفسكم، وكنتم تحاربون بمفردكم حتى ٦ نوفمبر١٩٥٦ وكذلك حتى انتهاء المعارك ولم تشر لا من قريب ولا من بعيد إلى المساعدة التي قدمها لكم الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت.

هكذا، سيادة الرئيس، أصبحت تقف في طريق إنكار الحقائق المؤكدة الواضحة. فالجميع يعلم انه منذ اليوم الأول لاندلاع أزمة السويس، والاتحاد السوفيتي يقوم بحماية الحقوق الشرعية لمصر مقدماً لها الدعم الواسع سواء كان معنوياً، سياسياً، مادياً. وبعد الاعتداء المسلح لإنجلترا، فرنسا وإسرائيل على مصر، قررت الحكومة السوفيتية اتخاذ عدة خطوات لعبت على المدى البعيد دوراً مهما في تراجع المعتدين وانسحابهم من الأراضي المصرية. ترى هل أحداً ساوره الشك في أنه إذا لم ترتدع القوات المعتدية على مصر بذلك الإنذار الذي أطلقه الاتحاد السوفيتي لوقف العمليات العسكرية، لأقبل الاتحاد السوفيتي على استخدام إجراءات أكثر حدة وصرامة من أجل لجم هؤلاء المعتدين ؟ أرى

انه من المناسب هنا أن أذكر بأنه قبل وقت طويل من اندلاع أزمة السويس، وحكومة تشيكوسلوفاكيا تساعد الحكومة المصرية من خلال تقديم صفقات السلاح العاجلة واللازمة لاحتياجات الدفاع في البلاد . ومن المعروف أنه مع نهاية عام ١٩٥٥ قد تم توريد كميات كبيرة من الأسلحة السوفيتية والتشيكوسلوفاكية إلى مصر وسوريا بتسهيلات واضحة . و نحن سعداء إذ أن هذه الأسلحة قد عادت بالنفع عليكم . وسعداء أكثر لقيام أفراد ماهرين لديكم باستخدام أسلحتنا وحماية دولتكم تحت قيادتكم أثناء العدوان الثلاثي على مصر .

عليكم أن تصدروا الحكم بأنفسكم، هل يمكن القول بأن الاتحاد السوفيتي اكتفى بتقديم الدعم المعنوي فقط لمصر ؟

لاشك أن الشعب السوفيتي يقدر جيداً ذلك النضال الباسل والشجاع للشعب المصري في مواجهة المعتدين على حريته وسيادته . والحقيقة أن نبأ وقوع هجوم على مصر قد أثار مشاعر غضب واستياء عارمة لدى الشعب السوفيتي، الذي أبدى استعداده لتقديم المساعدة العاجلة للمصريين في نضالهم العادل . لقد تحدثت في اجتماعك بالكرملين، الذي جرى في مايو ١٩٥٨ عن أن قوة وحسم الشعب المصري في ظل الدعم الذي وجده لدى الاتحاد السوفيتي وباقي الدول الأخرى المحبة للسلام، ودعم قوى باندونج، قد أسهم كل ذلك في دحر المعتدين وتكبيدهم الهزيمة وإجبارهم على الانسحاب من البلاد .

فهذه الحقائق مسجلة وموثقة في صفحات التاريخ .

لم أرغب في التطرق للحديث عن مشاعرك الدينية، حيث يبدو لي أنه لا يصح استخدام أية محاولات لاستغلال الدين لصالح تبرير السياسة الحالية للجمهورية العربية المتحدة واستغلال الدين ضد الاتحاد السوفيتي وثورة ١٩١٧ التي جرت في بلادنا .

إن الاتحاد السوفيتي حكومةً وشعباً يتعامل بعميق الاحترام نحو المشاعر الدينية لدى كل الأفراد وكذلك المسلمين، كما رأيتم من خلال جولتكم

في بلادنا . وأثناء زيارتك لنا استطعت أداء مناسكك الدينية مع المسلمين في المسجد سواء أثناء تواجدك بموسكو أو لينينجراد .

أعتقد انه ليس من الصعب الاقتناع بأن المسلمين بالاتحاد السوفيتي يؤدون طقوسهم الدينية بحرية مثلهم مثل باقي أصحاب الديانات الأخرى . فالقانون في دولتنا يكفل حرية الضمير و حرية الطقوس الدينية، فلدينا الكنائس والمساجد ويقوم الجميع بممارسة طقوسهم الدينية في جو من الحرية .

ومن الواضح أنك تعلم، سيادة الرئيس، أن ثورة أكتوبر المجيدة والبناء الناجح للحياة الجديدة والنهوض بالاقتصاد والثقافة ورخاء شعوب الاتحاد السوفيتي هو أمر يسعد شعوب كل دول العالم وفي الوقت نفسه، يثير مشاعر الخوف والقلق على المستقبل لدى الأوساط الإمبريالية . ألا تعتبر ثورة أكتوبر بمثابة مصدر لإلهام لدى الشعوب المضطهدة الواقعة تحت براثن الاستعمار، ألا تعتبر ذلك علامة بارزة بصرف النظر عن المعتقدات الدينية للأفراد في نضالهم لنيل الاستقلال والتحرر الوطني والاجتماعي ؟

وإحقاقا للحق والعدالة هنا، لابد من الإشارة إلى أن شعوب الشرق ومن بينهم المسلمين، البوذيين، المسيحيين والمؤمنين بالديانات الأخرى، قد عانوا لقرون طويلة من نيران الاستعمار والمحتل الأجنبي . وبات تحريرهم ممكناً من خلال الكفاح الراسخ والثابت للشعوب ضد الاستعمار . وكما أوضحت تجربة السنوات الماضية، إن الحفاظ على الاستقلال الوطني لبعض الدول العربية تتطلب دعم كبير من جانب كل الشعوب المحبة للسلام بصرف النظر عن معتقداتها وانتماءاتها الدينية .

وهكذا كان من الأفضل عدم الخلط بين المسائل الدينية والسياسية .

إذا ما نظرنا نظرة موضوعية إلى تطور الأحداث في منطقتي الشرق الأوسط والأدنى في الآونة الأخيرة، والى مؤامرات ومكائد قوى الاستعمار التي أسهمت في تفاقم العلاقات بين الدول، لبات واضحاً انه من اجل الوصول إلى الهدف الرئيسي، الحفاظ على السلام، لا يجب علينا ولا عليكم أن ننسى في خضم

المشكلة، المهمة الرئيسية التي تقف أمام الدول العربية وهي دعم وتعزيز استقلالهم وسيادتهم والوطنية. فنضال الشعوب العربية لن ينتهي، وتعتبر المساعدة التي يقدمها الاتحاد السوفيتي والدول المحبة للسلام، بمثابة الضمان الموثوق للنجاح الدائم. وبمقدور التعاون المثمر والمتكافئ مع الاتحاد السوفيتي ومساعدته أن تكون متاحة لكم في اي وقت.

**سيادة الرئيس !**

لقد كتبت بصراحة كل ما أريد قوله في هذا الخطاب، ورأينا انه من الضروري أن نشارككم وجهات نظرنا مرة أخرى، اقصد أن عملية تبادل الآراء تتوافق وطبيعة تلك العلاقات التي تجمعنا حتى الآن. أريد أن أعرب عن أملي في أن تسهم عملية تبادل الآراء هذه في المساعدة في تفتيت بذور أي خلاف بيننا من خلال الجهود المشتركة.

و نحن على يقين من أنه إذا ما تم استبعاد كل ما يعوق رؤية الأشياء كما هي علي حقيقتها، فإن تعاوننا وصداقتنا ستتطور بشكل سليم وهو ما يحرص عليه ليس فقط شعوب الاتحاد السوفيتي و الجمهورية العربية المتحدة، بل وكذلك باقي شعوب دول العالم المحبة للسلام.

تفضلوا بقبول وافر الاحترام،،،

**ن.س.خروتشوف** — **معالي سيادة / الرئيس جمال عبد الناصر**

١٢ أبريل ١٩٥٩ — رئيس الجمهورية العربية المتحدة

# لقاء الصحفي الهندي إر.دي.كارانجيا مع الرئيس جمال عبد الناصر – رئيس الجمهورية العربية المتحدة

## ١٦ أبريل ١٩٥٩ [٥٦]

**ملحوظة مهمة**

نظراً لان هذا اللقاء يُعد حصرياً لصحيفة « بليتس نيوز ماجازين « فإنه سيتم توزيعه على كافة وكالات الأنباء الأجنبية والصحافة المصرية ولكن شريطة ان يتم نشره في نفس الوقت الذي سينشر فيه في صحيفة «بليتس نيوز ماجازين» و يحظر نشره قبل صباح ١٧ ابريل ( الجمعة ) ١٩٥٩ أر.دي.كارا نجيا.

**سؤال:**

اقترح على سعادتك وبعد موافقتك سيادة الرئيس، إجراء هذا اللقاء الذي سيختلف عن اللقاءين السابقين معك من حيث جدية القضايا التي سيتم طرحها خلاله . لقد التقيت معك في اللقاءين السابقين لكي أنقل لك بالغ التهنئة لانتصاركم في السويس وتحرير العراق، أما اليوم فإني أنقل إليك أفكاري غير المنظمة . فماذا حدث للقومية العربية إذا ما سمحت لنفسها بالتوغل في كل هذا الوحل والخلل المرتبط بالأزمة الواقعة بين جمهوريتكم والعراق . أردت أن أعرف منك ما الذي ينقص أيدلوجية ومضمون القومية العربية ؟

---

(٥٦) أرشيف السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية، ملف رقم ٨٧، حافظة رقم٣٠. قضية رقم ٩، الأسطر من ٢-١٦. مكتوب أعلى النص : " يتم توزيع الخطاب على أعضاء هيئة رئاسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي والمرشحين لعضوية هيئة رئاسة تلك اللجنة، ١٦ ابريل ١٩٥٩ . أ.جروميكو "، ويليه : " وصل الخطاب عبر البريد من القاهرة في ١٦ ابريل ١٩٥٩ على يد السفير السوفيتي في الجمهورية العربية المتحدة والترجمة من اللغة الإنجليزية ".

-ج- كل شيء على ما يُرام فيما يتعلق بالقومية العربية، سيد كارا نجيا، باستثناء أنها تتعرض الآن لهجمات من جانب النشاط التخريبي الشيوعي. فنحن نقود معركة دفاعية لمواجهة الشيوعية واتحادها الدولي كما كنا نواجه الامبريالية الغربية من قبل. إن أيدلوجية القومية العربية تتلخص في الاستقلال الكامل عن أي نفوذ أجنبي ويتمثل المضمون السياسي لها في الالتزام بالحياد الإيجابي بين اثنين من التكتلات الكبرى. وأصبح عدونا الطبيعي هو أي ميثاق، حلف أو مذهب يسعي للتخريب والتدمير و يجب علينا حماية أنفسنا منه.

ولهذا فإننا نحارب حلف بغداد ومبدأ إيزنهاور الذي خلفه، وعلى هذا النحو فقد أرغمونا اليوم أن ندافع عن استقلالنا وسيادتنا وحمايتنا من المذهب الشيوعي ذي النشاط التخريبي. وقد نجحنا في خضم كل هذه المعارك في حماية المبادئ الرئيسية للقومية العربية من المخططات والمؤامرات المعادية لمنطقتنا والتي وضعها الأجانب. لا نريد ببساطة ان تندلع في منطقتنا حرب باردة جديدة. ولهذا فإن التحركات التي نتخذها لمواجهة الشيوعية ما هي إلا مواصلة للكفاح العربي لأجل الحفاظ على استقلاله وسيادته ( ولا شيء آخر ينقص القومية العربية كما قلت ). تكمن الحقيقة في أن القوة، الإيمان واليقين بقوميتنا هم الذين يسمحون لنا بمواصلة النضال ضد هذا العدوان الجديد.

**سؤال:**

ولكنك سيدي لم تقل أي شيء عن خلافك مع العراق ؟

-ج- لأنه ليس لدينا أي خلاف مع العراق وإنما خلافنا مع المؤامرة الشيوعية التي تستهدف العراق والعالم العربي بأكمله.

**حلف بغداد الشيوعي**

**سؤال:**

يقوم أعدائك إذن باستغلال تلك المشاكل الواقعة بين القاهرة وبغداد

لتصويرك بأنك ديكتاتور، نازي وإمبريالي ولا تتردد في تنظيم تدخل علني ضد سيادة الأمة العربية الشقيقة، سأكون ممتنًا إذا ما أعطيت تحليلاً لأسباب ومصادر تلك الأزمة.

ـ ج ـ نعلم الآن مثل هذا الشكل من الإهانات والفضائح. ففي البداية كنا نتحمل ثقل وعبء مثل هذه الاتهامات الموجهة إلينا عندما رفضنا دعم ومباركة حلف بغداد الغربي في عام ١٩٥٥. والآن يتم توجيه مثل تلك الاتهامات ضدنا من جديد لان القومية العربية لا يمكن أن توافق على حلف بغداد الشيوعي الجديد.

نحن لا ندبر أي هجوم على العراق ولا نريد التدخل في شئونهم الداخلية طالما إنهم لا يشكلون أي خطر على العالم العربي. وفي هذا الإطار فإننا نحارب مؤامرة الأقلية الشيوعية داخل العراق، تلك الأقلية التي تتحرك بوصفها أداة لروسيا والشيوعية الدولية كما كان الحال قبل الثورة بالعراق، حيث كان يتم تنفيذ أوامر القوى الإمبريالية الإنجليزية والأمريكية. لم أبدأ أنا ولا شعبي في الوقوف في وجه العراق. ولكن في الواقع، فقد أصبحنا في موقف دفاعي نتيجة لسلسلة من الاستفزازات الشيوعية والهجمات من جانب بغداد. وأي تحليل موضوعي للأحداث منذ تاريخ ١٤ يوليو من العام الماضي سيؤكد هذا الحديث.

**دعمنا ومساندتنا للعراق**

لقد بذلنا كل ما في وسعنا لأجل تقديم الدعم لثورة بغداد بدون أية شروط، وقد اعترف السيد قاسم بنفسه بذلك الدعم. وأعلنا آنذاك أن أي هجوم على النظام العراقي الجديد سنعتبره هجوما علينا وسنرد الحرب بالحرب. وقد ناقشتُ مسألة الاعتراف بالحكومة الجديدة مع الهند والدول الصديقة الأخرى. لقد ساعدناهم بكل الطرق لتعزيز نظامهم وفي الوقت نفسه، فقد حضر إلى القاهرة عدد من قيادات الثورة العراقية مثل كمال القادرشي لمناقشة مسألة وشكل الانضمام معنا. قلتُ لهم ألاّ يتعجلوا ويعودوا للوراء للحفاظ على

مبادئ ثورتهم وقد طلبتُ من قادرشي أن ينتزع من رأسه فكرة الاتجاه خارج نطاق الأخوة العربية العامة. وقلتُ له إن الأهم من ذلك هو توحيد بلاده وإنقاذها من خطر الانقسام بين قادتها، ذلك الانقسام الذي سيستغله الشيوعيون وباقي الأعداء وسيؤدي إلى وقوع كارثة أخرى في القضية العربية.

وهذا لابد وأن يوضح لك الحقيقة التي تقول بأننا لا نريد من العراق في أي وقت من الأوقات سوى الحفاظ على استقلاله والعلاقات الشقيقة مع العرب.

يتمثل هدفنا في إقرار صيغة ما للوحدة الدستورية بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق، بحيث يؤدي ذلك إلى إظهار مزيد من مشاعر التضامن العربي. وسيظل هذا هو موقفنا حتى الآن. وتدل قضية العقيد عارف على إخلاصنا ونزاهتنا، فقد كان عارف يترأس غالبية الرأي العام بالعراق، الذي كان يساند فكرة الاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة. ولكن بعد قيام قاسم باستبعاد عارف وحكم عليه بالإعدام، فإننا لم نتدخل، وفي الحقيقة فقد أصدرت أوامري للصحافة والإذاعة لدينا لتجنب توجيه أية انتقادات للعراق.

**قاسم يتهرب**

حاولت الالتقاء مع قاسم عدة مرات، وأنا أسير على هذا النهج السياسي، ولكنه كان يتهرب مني بحجج غير مقنعة بالمرة، وعندما رفض الذهاب إلى القاهرة ودمشق، وافقتُ على التوجه إلى بغداد أو إلى أي مكان آخر حسب اختياره ولكنه رفض ذلك. لماذا؟ لأن الشيوعيين الذين يتحكمون فيه مثل الأسير لم يرغبوا في أي شكل من أشكال التقارب معنا، حتى أنني أرسلت لقاسم تأكيدًا بشأن أننا لا نرغب في فرض اي شكل من أشكال الوحدة او الاتحاد على بغداد وأننا نرغب في القضاء على سوء التفاهم وإنعاش العلاقات الشقيقة بين الدول العربية. ولكننا لم نتلق أي رد من جانبه. وعلمنا بعد ذلك سبب تهرب قاسم منا، حيث قام الشيوعيون بالسيطرة على النظام وقمع الثورة واستبعاد قادتها، الذين قاموا بها في ١٤ يوليو وسرعان ما أصبح غالبية

الوطنيين داخل السجون . صاروا ينتهجون سياسة العنف، التطهير والإرهاب وتم إشعال الثورة المضادة . ولم يضيع الشيوعيون الكثير من الوقت في إشعال نيران الحرب الباردة على الجمهورية العربية المتحدة، والقومية العربية، تم استبعاد الشخصيات الدبلوماسية وكان يتم التعامل بمنتهى القسوة مع معلمينا وخبراؤنا الذين تم إرسالهمإلى العراق لدرجة أوصلت البعض منهم لحالة عصبية . وكان هناك حشود يترأسها الشيوعيون تسير في الشوارع يسخرون ويستهزئون من القومية العربية .

كانت تلك هي القصة باختصار، ولكن المثير للأسف والحسرة هو مصرع الثورة الوطنية بالعراق، و نجاح الشيوعيين في اجتياح هذه الأرض العربية . وقام السفير العراقي بالقاهرة وهو شخصية وطنية فدائية، بتقديم استقالته وكشف للعالم تلك الحقيقة التي تدور حول أن قاسم لم يفلح في دعم وتعزيز الثورة بالعراق او حاول إنشاء ما يشبه دولة بالعراق وما يشبه نظاما بعيداً عن سلطة الشعب، ولم يبق أمامنا سوى أن نحمي أنفسنا من شبح هذا الوجه من الفوضى التي عصفت داخل العالم العربي . فالصراع هنا ليس بيننا والعراق، وإنما هو صراع بين الشيوعية والقومية .

**الضرب أسفل الحزام**

**سؤال:**

ولماذا إذن لم يكن رد فعلك، سيادة الرئيس، بمنتهى الحزم والعنف إزاء هذا الخطر كما تتصوره ؟ وفي النهاية فإن قاسم والشيوعيين من العرب هم أشقاؤك من خلال صلة الدم والعرق، حتى وإن ساروا في اتجاه غير صحيح . ألم تستطع الصبر عليهم وإعادة إقناعهم؟

ـ ج ـ لم يصبح الشيوعيون عرباً، بل باعوا أنفسهم للنفوذ الأجنبي . فهم يتصرفون وكأنهم عرائس مسرح وباتوا عملاء في العراق، سوريا وكل أنحاء الوطن العربي . ولهذا لا يمكننا التعامل معهم كعرب، إن سلوكهم الخاطئ في العراق أجبرني على مقاومتهم بقوة .

فعندما تتلقى ضربة مفاجئة من تحت الحزام، فلن يكون أمامك وقت طويل للصبر والإقناع. بل كان يتوجب عليا تحذير شعبي لكي يتيقظ أمام هذه الخطر الجديد. وفي النهاية لم يبق لدينا نحن القوميين العرب أي حلفاء لا من العالم الشيوعي ولا من العالم الإمبريالي وليس لدينا أسلحة من الشيوعيين ولا قوى الاستعمار. ولهذا كان لابد وأن أتوجه لشعبي، هذا الشعب الذي يُعتبر جيشي، قوتي وأمني. وكانت هذه هي إجابتي على سؤالك.

**سؤال:**

شكرا لسيادتك فخامة الرئيس ! لا يمكنني أن أجادل تفسيرك للموقف. ولكنى أردت ان تأخذني لمنطقة أعمق في هذا الخلاف. لقد فهمتُ من حديثك انه إذا ما كان الخطر مقصوراً على العراق وحده، لأصبح هنا تقييد على حقك في التدخل في شئون الأمة الشقيقة، ولكن طالما أنك حولت هذه المعضلة العراقية او الشيوعية إلى قضية عربية عامة، إذن فإنني أرى أن الخطر هنا لا يهدد العراق فحسب، بل والعالم العربي أجمع وذلك من وجهة نظرك ؟ هل يُعتبر رد فعلك العاصف إزاء تطور الأحداث في بغداد نتيجة لبعض المعلومات الاستخباراتية او الأدلة التي لم يتم الكشف عنها للعالم اجمع ؟ وإذا ما كان هذا صحيحا، هل تتفضل بكشف القصة السرية وراء ذلك لكي تدرأ عن نفسك شبهة الاتهام بالتدخل والعدوان ؟

**القصة السرية للمؤامرة**

-ج-: الآن وبعد أن طرحت أمامي هذا السؤال مباشرة، أستطيع أن أقول لكأن أجهزة المخابرات لدينا اكتشفت المؤامرة الشيوعية التي تهدف إلى احتلال العراق والسيطرة عليه وإنشاء الاتحادات في هذه المنطقة العربية الإستراتيجية. تم العمل على الإيقاع بين مصر وسوريا والقضاء على وحدتنا ؛ وبعد ذلك يتم تحقيق الهدف النهائي للشيوعيين، الذي يتمثل في إنشاء إقليم الهلال الأحمر الخصيب الذي يضم العراق، سوريا، الأردن، لبنان والكويت وذلك لضمان وجود بوابة للاتحاد السوفيتي تطل على الخليج العربي والفارسي وكذلك المحيط الهندي.

**سؤال:**

أنه اكتشاف مثير للضجة يا سيدي . هل تتكرم برواية القصة الكاملة لكشف ملابسات تلك المؤامرة كما تصفها ؟

ـ ج ـ : لقد بدأت القصة في سوريا قبل وحدتها مع مصر، أي قبل وقت طويل من اندلاع الثورة بالعراق .أذكر أنني تحدثت معك في آخر مرة رأيتني فيها في سبتمبر عن مؤامرة السوريين الشيوعيين وخاصة كلا من باجداش وبيزري، بهدف تحويل سوريا إلى دولة سوفيتية شيوعية عن طريق الانقلاب .

**سؤال:**

أتذكر ذلك يا سيدي، وأذكر أنك طلبت عدم نشر ذلك الجزء من اللقاء .

ـ ج ـ : هذا صحيح، فقد كانت هذه هي خلاصة خبرتي وتجربتي مع الإستراتيجية الشيوعية السوفيتية ولم أكن أرغب في التربح بالأموال من وراء ذلك . أما الآن فإني أترك لك حق رواية تلك القصة للعالم أجمع . ولأجل القضاء على هذه المؤامرة، فقد أتى إلينا المناضلون السوريون وبعد ذلك تم تفعيل الاتحاد بين مصر وسوريا . وبعد ذلك تم إجراء استفتاء عام أوضح أن ٩٩٪ من الشعب السوري يساند فكرة الوحدة، وقد أسهم هذا في عزل السوريين الشيوعيين .

**مؤامرة بغداد**

وبعد ذلك هرب خالد بكداش من سوريا إلى موسكو ومنها إلى براج، أما بيرزي فقد ظل معنا ليراقب ويقتنص الفرصة المناسبة . حيث استطاع المتآمرون التجمع مرة أخرى بعد الثورة في بغداد، وتمركزوا بالعراق نظراً لأن المجموعة المحلية هناك تتمتع بالدعم والسند . فقد استغلوا ذلك الخلاف الواقع بين الجيش والقيادة السياسية بهدف إثارة الفوضى والقضاء على القوميين العرب وتوحيد باقي من هم على شاكلتهم في جبهة سياسية تحت قيادتهم .

بعد إحكام قبضتهم الحديدية على العراق، أخذوا ينظمون تنظيما شيوعيا عربيا سريا بهدف تنفيذ نشاط تخريبي ضد دول الجوار العربية. وتفيد معلوماتنا الاستخباراتية أن من قام بإرساء دعائم هذه الجبهة هم الشيوعيون العرب في موسكو خلال المؤتمر الحادي والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي. وأجرى الشيوعيون اجتماعا شيوعيا - عربيا في بغداد في فبراير من العام الحالي. وحضر هذا الاجتماع شخصيات شيوعية من إسرائيل وشهد الاجتماع إرساء قواعد التنظيم السري الشيوعي - العربي الهادف إلى تقسيم وتفتيت الجمهورية العربية المتحدة وإنشاء منطقة الهلال الأحمر الخصيب بوحدة قيادة الثورة المضادة الشيوعية لمواجهة القومية العربية في بغداد.

**فشل المؤامرة السورية**

**سؤال:**

ما هو مصير تلك المؤامرة فيما بعد؟ أقصد هل لديك أدلة على نجاح تلك المؤامرة في تحقيق أهدافها المزعومة؟

**-ج-:** لقد قمتُ بنفسي في ديسمبر من العام الماضي باتخاذ خطوات لإحباط أول محاولة للشيوعيين ضد الجمهورية العربية المتحدة في المنطقة السورية. حيث إنهم كانوا يخططون لإحداث انقلاب في سوريا، ولهذا الغرض فقد عاد خالد بكداش إلى منطقة الشرق الأوسط وأخذ يعمل مع بيرزي والتنظيم الشيوعي السري. وقد أرادوا أيضا فصل سوريا عن وحدتها مع مصر وضمها إلى العراق لإنشاء اتحاد آخر تحت قيادة الشيوعيين. ولهذا فقد اضطررتُ لتوجيه ضربة ضدهم وفضح مؤامرتهم على الملأ. بعد ذلك سرعان ما فرّ الشيوعيين إلى بغداد، التي تحولت الآن إلى مقر للأممية العربية. هل تتخيل ان الشيوعيين من مختلف الدول العربية: سوريا، الأردن، لبنان ..الخ يتمركزون الآن في العراق لأجل تدبير المؤامرات ضدنا من هناك.

**سؤال:** وما هو اختلافهم الجوهري معك سيادة الرئيس، إذا لم نعتبر أنك لاتعترف بهم باعتبارهم قوميين عرب؟

ـ ج ـ: إنهم ينتمون لنموذج آخر من القومية العربية التي تعتمد على فكرة الاتحاد وما يطلقون عليه الديمقراطية الحزبية. إنهم يريدون أن تعمل الأحزاب السياسية بحيث يتمكنون من استغلال بعضها ضد بعض والقضاء على باقي الأحزاب عدا الحزب الشيوعي، واضعين نصب أعينهم النموذج المعروف لأوروبا الشرقية. كما إنهم يكررون الاتهام القديم الذي أطلقه الإمبرياليون بشأن أن مصر لا تُعد دولة عربية, وبالتالي فلابد من عزلها عن العالم العربي !

**أسرة عربية واحدة في مركب واحد**

**سؤال:**

عند النظر إلى حديثك السابق سيادة الرئيس، حول دورك الهجومي والدفاعي عن العراق، فإن هذا يثير تساؤلا في بعض الأوساط غير الصديقة، وكذلك في الأوساط العربية حول ذلك الحق أو تلك السلطة التي تجعلك تتدخل في شئون دولة عربية خارج حدود دولتك ؟

ـ ج ـ: وهل من المعقول أن يقوم أي شخص اليوم بغض بصره عما يحدث في العالم الخارجي، فما بالك بالأحداث التي تشهدها إحدى دول الجوار ؟ عندما بدأ الأمريكان شن الحرب الباردة ضدكم من خلال إنشاء تحالفات وتقديم المساعدة العسكرية لباكستان، فقد كان رد فعلكم عنيفا للغاية وهذا هو نفس ما نقوم به نحن.

فما يحدث في برلين اليوم يمسني أنا أيضا، فما بالك بما يحدث في دول الجوار المحيطة بنا مباشرة؟ وهذا يقودنا إلى موضوع آخر يتمثل في أن الدول الكبرى تقوم باستغلال الدول الصغيرة والنامية باعتبارها إحدى أدواتها التي تستخدمها في لعبة الحرب الباردة. ونعتبر منطقتنا هي المنطقة المركزية والإستراتيجية في طاولة الشطرنج الخاصة بهم، ولهذا يتوجب علينا اتخاذ الحيطة والحذر. وكان هذا ضمن إحدى دروس التاريخ التي كنتُ ادرسها في كلية القادة والأركان. عندما نلقي بهذه الأسباب جانبا، فإننا بذلك ننتهج

أيدلوجية خاصة بالقومية العربية التي تعتمد على التضامن العربي ومبدأ الأمة العربية الموحدة . مثل ان دستورنا الخاص مثل الدستور المؤقت لدى العراق يربط البلدين من خلال مبدأ «أمة عربية واحدة».

وهكذا فإن كل دولة عربية لديها الحق في طلب استقلال أشقائنا بالعراق عن بريطانيا والاتحاد السوفيتي أو أي دولة كبرى أخرى . ولهذا السبب قمنا بمحاربة حلف بغداد الموالي للغرب . وهذا السبب أيضا هو الذي أرغمنا الآن على القضاء على تلك الاختراقات والتسللات الجديدة للشيوعيين بالعراق . نحن أشبه بأسرة عربية واحدة في سفينة واحدة تسير في بحر متلاطم الأمواج وجو دولي في حالة متردية . ترى إذا ما حاول احدهم عمل ثغرة في سفينتنا،هل تعتقد أننا سنجلس صامتين لننظر كيف سيقوم هذا الشخص بعمل تلك الثغرة في جسم السفينة، بل يتعين علينا أن نوقفه للحفاظ على أمننا العام .

**شخصيتان لجمال عبد الناصر**

**سؤال:**

هذا صحيح بالفعل يا سيدي، وأشكرك على هذا الإيضاح . قال لي محرر مصري صباح اليوم أنني سألتقي بشخصيتين لجمال عبد الناصر، شخصية معروفة كرئيس الجمهورية العربية المتحدة، والثانية هو القائد الأعلى للقومية العربية . هل هذا صحيح ؟

-ج-: اعتقد أنه صحيح من الناحية النظرية. هل رأيت مصر يوما ما خارج نطاق النضال العربي وجئتُ أنا لكي أقحمها فيه؟! فالقاهرة كانت ومازالت قاعدة وعاصمة لكافة المعارك العربية من عمان إلى الجزائر . تجد على أراضيها رابطة الدول العربية وعدد من المنظمات الأخرى . عندما اندلعت الثورة في بغداد، اعترف السيد قاسم بنفسه بحقيقة توجهه إلينا لطلب المساعدة بلا فخر، حقيقة أننا كنا على استعداد للدخول في حرب بسببهم، وإنقاذهم من براثن التدخل الغربي . لقد توجهتُ شخصياً إلى موسكو على الفور من أجلهم وليس الإنجليز ولا الشيوعيين الذين يرسلون إليهم السلاح الآن.

**الحرب بين الإسلام والإلحاد**

**سؤال:**

الآن وبعد أن أوضحت تلك المخاطر التي تراها ناجمة عن العراق الشيوعية، هل تستطيع سيادة الرئيس الانتقال إلى إستراتيجية الدفاع الذاتي. لم يفلح الكثير في فهم وإدراك تلك الصرخة التي أطلقها الإسلام وكذلك الفتاوى التي أصدرها ضد الملحدين. نقول بصراحة إن هذا قد أثار حالة من القلق لدى الرأي العام بالهند، مما أفقد إيماننا بالروح المدنية للعرب. وهذا من شأنه وأن يضر بأكبر حليفين لكم هما الهند العلمانية ويوغسلافيا الشيوعية والضرر هنا سيكون أكبر من ذلك الضرر الذي يتكبده الروس وباقي الشيوعيين. وهذا من الممكن كذلك وأن يضر بالقومية العربية. التي لابد وأن تضع في اعتبارها وجود الكثير من الأقليات غير المسلمة. هل من الممكن أن أعرف لماذا تعين عليك اللجوء إلى هذه الطريقة العاطفية القديمة؟

ـ ج ـ : إنني سعيد لكونك طرحت هذا السؤال، سيد كارا نجيا، حيث يُعد هذا الاتهام غير المبرر جزءاً من حملة الافتراءات الموجهة ضدي من جانب الشيوعيين والإنجليز. أستطيع أن أؤكد لك وبشكل علني وصريح أنني لم أستخدم الإسلام لغرض الدعاية في أي وقت من الأوقات. وقد لجأت لاستخدام الإسلام مرة واحدة في دمشق ولكن في سياق آخر قد تم تشويهه من جانب أعدائنا. وكل ما قلته، إنه في عام ١٩٤٩ حيث أراد الشيوعيون أن أنضم إلي حزبهم، ونظرا لأنني دائما أهتم بكل شيء واسعي وأتطلع للمعرفة، فقد طلبت منهم أن يرسلوا لي أعمالهم ومنشوراتهم، وبعد اطلاعي عليها وقراءتي لها، وجدتُ فيها منهج غير إسلامي وملحد، وهو شأن غريب عن عقيدتي الإسلامية، وعندئذ رفضت دعوتهم بأن أصبح شيوعيا. وتم تشويه تصريحي هذا في كل الحملة الخاصة بالإسلام والإلحاد. وفيما يتعلق بسؤالك الخاص بالفتاوى وما شابه، فليس لي ولا لحكومتي أية علاقة بذلك. فعندما هاجمنا الخطر الشيوعي، أخذت كل جهة ترد حسب وجهة نظرها. فبالنسبة لي أرى أن الشيوعيين هم عملاء

أجانب, وقد أعلنت ذلك صراحة . البعض الآخر مثل رئيس جامعة» الأزهر» فهم يلتزمون المنهج الإسلامي وانضم المسيحيون كذلك لمواجهة الإلحاد الشيوعي من وجهة نظر الدين المسيحي . أما بالنسبة لنا، فلم نلجأ لمثل تلك الدعاية من جانب الحكومة ولا نستطيع إيقاف الآخرين عن تحويل ذلك إلى مسألة دينية وفي النهاية، كما يقول نيرو دائما، فإن الشيوعيين في أيامنا هذه يتصرفون مثل الصليبيين المتدينين،حيث يثيرون رد فعل قوي بين طائفة الأرثوذكس . وكانت قد وصلت إلينا أنباء من بغداد وأماكن متفرقة بالعراق حول قيام البعض بتقطيع القرآن إلى أجزاء، الأمر الذي أثار رد فعل حاد بالقاهرة ودمشق . وبالنسبة لي فإنني شخص متدين يرفض الإلحاد . فالتدين لا يعني الصلاة والذهاب إلى الكنيسة، الدين هو حسن المعاملة وهو ما يمكن للشيوعيين الاستفادة منه .

**سؤال:**

ألا ترى أن مثل هذا المنهج يكسب القوة للأشقاء المسلمين وباقي القوى الأخرى من الإقطاعيين، الرجعيين، والإمبرياليين المختبئين داخل العالم العربي؟

-ج-: فيما يتعلق بمصر، فقد قمنا بالفعل بالقضاء على مثل هذه القوى . فالقوى المتعصبة والدينية لم تعد تمثل أي خطر حقيقي علينا .

**مشكلة ناصر وخروتشوف**

**سؤال:**

ننتقل الآن سيدي إلى وجه آخر في غاية الأهمية من أوجه محاربتك للشيوعية . هل كان هناك مشكلة مع خروتشوف وروسيا ؟ فحكومتي تحارب الشيوعية بسلاح الإصلاحات الديمقراطية والاقتصادية، ولكننا لا نحمل هذا الصراع إلى موسكو أو بكين. ولهذا فإنني أرغب في معرفة المزيد عن توجهات سياسة الاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط، تلك التوجهات التي أجبرتك على وقف صفقات السلاح معه ؟

ـ ج ـ: أؤكد لك أننا كنا مضطرين للدخول في هذا الجدال دون رغبة في ذلك. ففي غضون السنوات الثلاثة الأخيرة، كان يجمعنا مع روسيا علاقات صداقة قوية للغاية، فقد تركت موسكو رصيداً كبيراً من النوايا الحسنة والطيبة داخل العالم العربي نتيجة لدعمها للقومية العربية وإدراكها للحياد العربي. هكذا كنا نعتقد حتى ديسمبر من العام الماضي، عندما رأيتُ أنه من الضروري مهاجمة الحزب الشيوعي بسوريا.

**سؤال:**

اسمحي لي بمقاطعة حديثك سيدي. فقد ذكرت أثناء حديثك معي في سبتمبر ١٩٥٨ بعض المخاوف إزاء موقف الاتحاد السوفيتي من الوحدة مع سوريا.

ـ ج ـ: هذا صحيح. لقد نقلتُ مخاوفي هذه لخروتشوف من خلال محي الدينوف، وجاءتني الإجابة في صورة تأكيدات على أن روسيا لا تسعى للتدخل في شئوننا وأن هذا أمر يقلقنا.

**الحماية السوفيتية للشيوعيين العرب**

لقد بدأ القلق الفعلي بعد مهاجمتي للشيوعيين السوريين، وهذا الأمر يُعد شأننا الداخلي. لقد أصابني رد خروتشوف بصدمة، وكأنه حمل على عاتقه مسئولية الدفاع عن الشيوعيين العرب. أعربنا عن احتجاجنا لموسكو إزاء مثل هذا التدخل في شئوننا. بعد ذلك جرت فعاليات المؤتمر الشيوعي في موسكو، والذي أوضح فيه خروتشوف بعض الملحوظات التي تمتهن كرامتنا. بالإضافة إلى أن كل هذه التحركات ليست فقط لأجل تقديم المأوى للشيوعيين العرب أمثال باجداش، بل والعمل على ترقيتهم للصعود إلى الصفوف الأولى، وإتاحة المنبر لهم في موسكو، صوفيا وأماكن أخرى من أجل توبيخنا، وهذا كله يُعد انتهاكًا جسيمًا للدبلوماسية الدولية. تخيل إذن، إذا ما انتهجتُ هذا السلوك مع بولجانين أو شبيلوف أو جوكوف، هل هذا سيكون رد فعل موسكو؟

لقد أوضحنا لهم هذه المسألة صراحة وأرسلنا لخروتشوف خطاباً بعد هذا المؤتمر، أحذره فيه من دعمه للحزب الشيوعي في بلادنا، وذكرته بأن علاقة الصداقة التي تربط شعبنا بروسيا ستظل قائمة رغمًا عن أنف الحزب الشيوعي . وقلتُ له إن شعبنا لا يروق له مثل هذا السلوك وسألته هل يرغب في دعم الأقلية، هل يعتبرنا أعداء لكي يتصرف على هذا النحو ؟ وحذرته من أن يتم تضليله من جانب الشيوعيين لديه . واختتمتُ خطابي بالإعراب عن أسفي إزاء المستوى الذي وصلت إليه العلاقات فيما بيننا .

جاء رد خروتشوف لتهدئة الموقف وقد وثقنا في كلامه وأعلنت ذلك على الملأ، ثم بدأت بعد ذلك خلافاتنا مع العراق وبدأتُ خطاباتي التي تهاجم الشيوعيين العرب، الأمر الذي يُعد شأنا خاصًا بالعرب وليس له أية علاقة بروسيا. لم يضيع خروتشوف وقتا طويلا في الإجابة، وجاء رده أثناء لقائه مع الوفد العراقي الاقتصادي في موسكو، حيث وجه لي الاتهام بأنني أتحدث بلغة الإمبريالية ! وهذا أكد لنا أن موسكو تلعب بالفعل دور المدافع عن الشيوعيين وتهاجم القومية العربية . ولهذا لم يكن أمامي أي خيار آخر سوى أن أعلن للروس أننا لا نرغب في هذا الشكل الجديد من أشكال الاستعمار ولسنا على استعداد لان نبيع دولتنا ب ٧٠٠ مليون روبل من المساعدات السوفيتية لنا وكعادتي دائما، فقد حدثتُ شعبي عن القصة الكاملة لخلافاتنا مع موسكو . وكانت النتيجة أن تلك الثقة الكبيرة بالاتحاد السوفيتي، التي تشكلت على مدار أكثر من ثلاث سنوات، قد ضاعت في أقل من ثلاثة أسابيع . وأعتقد أنه يتعين على الروس توجيه الشكر للشيوعيين السوفييت على ما حدث.

**سؤال**

هل تعتقد أن موسكو هي من بادرت بالدفاع عن الشيوعيين العرب أم أنها أخذت تساندهم إلى أن لاحت تلك المبادرة على الساحة، وأصبحت موسكو موضوعة أمام الأمر الواقع ؟

ـ ج ـ: سبق وان قلتُ إن خالد بكداش وفريقه من الشيوعيين قاموا بتضليل روسيا ويبدو أنهم ضللوا خروتشوف وأرغموه على أن يثق بأن الأحزاب الشيوعية العربية تُعد الأقوى والأكثر شهرة في محاولة منهم لإقناع الشعب العربي بمساندتهم والوقوف بجانبهم لمواجهة حكوماتهم .

**المساعدة، التجارة والاستقلال**

**سؤال:**

أدرك يا سيدي على حسب علمي، أن هناك علاقات اقتصادية وأخرى عسكرية تجمعكم مع تلك الدول الشيوعية، فلماذا إذن القطيعة مع موسكو؟ واقصد في حديثي مشروع السد العالي، تجارة القطن واستيراد قطع الغيار والذخيرة اللازمة للتكنولوجيا العسكرية لديكم . فهل أنتم أقوياء إلى هذه الدرجة وقادرين على سداد الديون لكي تهدم كل الجسور التي تربطكم بروسيا ؛ بعد أن دمرتم كل الجسور التي تربطكم بالغرب ؟ أم أنك ترى هناك مصدراً آخر للتعاون الاقتصادي من الممكن أن يكون مع ألمانيا الغربية أو أوروبا ؟

ـ ج ـ: للأسف لا أستطيع مناقشة هذا السؤال على هذا النحو من التسطيح، حيث ينبغي أن يتم توجيه هذا السؤال لي على النحو التالي : هل أنا على استعداد للتخلي عن استقلال وسيادة دولتي أم لا ؟ فهذا هو مضمون السؤال، وباقي التكملة للسؤال لا قيمة لها . هل نستطيع أن نتاجر باستقلالنا مقابل المساعدة الاقتصادية والعسكرية ؟ بالنسبة لي فإن الإجابة ستكون بالطبع هي النفي .

لقد ذكرت المساعدة الاقتصادية وتجارة القطن وإجابتي على هذه المسألة كالتالي : ترى ما هي الفائدة التي ستعم علينا من تلك المساعدة والتجارة إذا ما فقدنا استقلالنا ؟ ـ نحن لا نرهن اقتصادنا . فنحن نبيع لهم القطن وليس استقلالنا . فهناك مبادئ غير قابلة للبيع والشراء مثل الكرامة، العزة، ويتعين على الدول الكبرى بما فيها روسيا، التي لا تقل عن أمريكا، أن

تدرك تلك المسألة جيداً فهي مسألة تمس كرامة آسيا وأفريقيا . وإذا ما كان السبيل الوحيد لرفاهية ورخاء روسيا يتمثل في إتاحتها الحرية الكاملة للحزب الشيوعي لكي يرتع في بلادنا ويدمرنا، فإننا نرفض ذلك . ومازالت آمل في ألا تكون تلك هي سياستهم . وفيما يتعلق بسؤالك حول وجود مصادر آخرى للتعاون الاقتصادي، دعني أقول لك أن تلك المصادر لا توجد فقط في أوروبا، بل وفي آسيا أيضا . والأهم من ذلك أننا نخلق هذه المصادر داخل بلادنا، مثل قناة السويس التي تحقق لنا .... مليون جنيه إسترليني سنويا ( الرقم محذوف – المؤلف )، ونقوم بتصنيع وإنتاج معظم السلع الاستهلاكية الخاصة بنا كما ترى . ونقوم كذلك بإنتاج معظم الذخيرة اللازمة، وبدأنا تصنيع قطع الغيار أيضا . تتلخص القضية بالنسبة لنا في أننا لا نستطيع أن نبيع سيادتنا مع القطن. أليس هذا صحيح ؟

**ثغرات ضعيفة للهجوم**

**سؤال:**

هذا أمر مفهوم سيادة الرئيس . غير أن كل هذا يضعك في موقف محرج للغاية . لقد سمعت بتلك المخاوف التي خرجت من أوساط القوميات العربية التي تقول بأن القطيعة بين القاهرة وبغداد يضعف الوحدة العربية أمام العدو الرئيس–إسرائيل، وفي الوقت نفسه، فإن الخلاف بين موسكو والقاهرة يجعل منطقة الشرق الأدنى معدومة المقاومة أمام عدوكم الآخر – الإمبريالية الغربية . هل وضعت كل تلك العواقب في الاعتبار إذا ما افترضنا بإمكانية توحد هذين العدوين لتكرار هجوم آخر على شاكلة العدوان الثلاثي على مصر ؟

**-ج-:** إن العراق دائما ما يكون خارج نطاق الخلاف مع إسرائيل ولا نستطيع ان نتوقع من السيد قاسم مساعدة أكثر من تلك التي قدمها نورى سعيد . لابد وأن نعتمد على أنفسنا ونعطي الفرصة لقوى القومية العربية أن تسترجع العراق في دائرة العائلة العربية العامة .

وعلى أية حال، فلسنا نحن من نأسف على هذا الخلاف الواقع بين بغداد و موسكو . والآن عندما ينهال وابل ذلك علينا، تُرى ما الذي يمكن أن نفعله ؟ من يريد أن يصبح مستقلاً، فعليه أن يصبح مستعداً لدفع الثمن كاملاً . لقد عانينا في غضون السنوات السبع الأخيرة تحت وطأة وضغوط الغرب، كما تعلم فقد سحقنا هجوم السويس بقواتنا الخاصة . والذي ساعدنا في ذلك هو القوة واليقين في ظل الصعوبات الحالية. ولا داعي للتفكير في التداعيات الناتجة عن النضال من اجل الاستقلال .

**التصالح مع روسيا**

**سؤال:**

هذا شعور طيب سعادتك، إنني أعرب عن تعاطفي إزاء تلك الصعوبات التي تمرون بها وعلى يقين من أن القطيعة مع روسيا لن تدم طويلاً. كنت أفكر في زيارة لموسكو في محاولة لإجراء لقاء مع خروتشوف للحديث في مسألة برلين، و الآن و بعد إيضاحكم للصعوبات التي تواجهوها ومع الوضع في الاعتبار رد الفعل الذي سيثيره لقائي معك في بلدي، فهذا يجعلني أصر وبشدة على سرعة إجراء هذا اللقاء . ولهذا كنتُ أرغب في معرفة الحد الأدنى من شروط التصالح مع موسكو ؟

ـ ج ـ : أن أقل طلب بالنسبة لنا سواء كان أمام موسكو، و اشنطن أو لندن هو أن يدركوا مفهوم القومية العربية ويقدروا قيمتها وأهمية الاستقلال ومساندتنا وعدم تقويض مواقفنا من الحياد الإيجابي . يعلم خروتشوف أننا حاربنا الغرب باسم هذه المبادئ على وجه التحديد وكنا على استعداد لخوض حرب أخرى في يوليو ١٩٥٨، وقد أوضحت تلك المبادئ الأساسية للعروبة أثناء زياراتي الأولى والثانية وقد أرسلت إليه خطابا، رجاء أن تطلب منه إعادة قراءته مرة أخرى .

تتلخص كل طلباتنا في عدم التدخل في شئوننا الداخلية. ويعلم خروتشوف حجم الضرر الذي سببه حلف بغداد لمنطقتنا، فقد أشعل فتيل

الحرب الباردة وخلق مناخ مفعم بالسموم . فلماذا يريد أن يكرر أخطاء الغرب في بغداد ؟ ألا يعد الأكثر قيمة هو ذلك الولاء المشكوك فيه لإلغاء أممية ذلك الحشد غير العربي، المقصور فقط داخل العراق أكثر من النوايا والإرادة الطيبة للعالم العربي الكبير الذي يمتد من الخليج العربي إلى المحيط الأطلنطي . وإذا ما توقف هذا النوع من التدخل، فإن صداقتنا القديمة، المبنية على قاعدة راسخة وثابتة للقومية العربية، ستعود من جديد بدون أدنى شك في ذلك .

لقد كان خروتشوف يدعمنا حتى وقت قريب، وقد دفعنا له عشرات أضعاف هذا الجميل مقابل كل تصرفاته الداعمة للعرب . ولكنه يبدو الآن أنه أخذ يساند عدونا، وسنرد على كل صفعة أخذناها على وجهنا بعشرة صفعات .

هذه هي سياستنا ويمكنك أن تصفها بأنها سياسة تفتقر للفطنة والصبر ولكننا نقدر كرامتنا جيداً.بالإضافة إلى ما سبق، فإن هذا النشاط الشيوعي المخرب يُعد خطراً جديداً يهددنا . لقد قضينا كل حياتنا في محاربة الإمبريالية ولذلك أصبح يمكننا أن نحمي أنفسنا منها بطرق معروفة . ومن الطبيعي أن يسبب لنا هذا الخطر الجديد حالة من الارتباك ولابد وأن يكون تصرفنا عمليا وعقلانيا وليس عقائديا . فهذا هو مجرد بداية الصراع ونأمل ببالغ الصدق الا يُفرض علينا ضرورة مواصلة هذا الصراع على الساحة الدولية. لابد عليهم وأن يدركوا أننا أصحاب دولة, ولا يمكن لأحد أن يفرض مذهبه من خلال عقولنا لا إيزنهاور و لا خروتشوف .

**التعاون الاقتصادي السوفيتي**

**سؤال:**

شكرا لك يا سيدي وسأنقل لخروتشوف مشاعرك هذه التي تؤكد معرفتي الخاصة بمشاعر العرب . أريد أن أعرف كذلك هل كان لسوء التفاهم مع روسيا تأثير على طبيعة التعاون الاقتصادي بينكم؟

ـ ج ـ: لاعلـى الإطلاق، ليس هناك أي تأثير لسـوء التفاهم بيننا على التعاون الاقتصادي، فهذا التعاون قائم ومستمر كما كان في السابق .

**سؤال:**

هـذا يعني أن الـروس يختلفون عـن الأمريكان، فهم لا يخلطون السياسـة بالاقتصاد ؟

ـ ج ـ: لم نشـتك من أي شـيء حتى الآن . فالاختلافات السياسـية لم تؤثر على تعاونهم سـواء كان في مشـروع السـد العالـي أو باقي المشـروعات الصناعية الأخرى ...

## خطاب جمال عبد الناصر لخروتشوف في ١٢ مايو ١٩٥٩[٥٧]

من رئيس الجمهورية العربية المتحدة إلى صاحب المعالي والفخامة نيكيتا خروتشوف، رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي .

تحية طيبة وبعد،،

**السيد رئيس الوزراء !**

لابد لي وأن أوضح في مطلع رسالتي رداً على خطابك السابق بتاريخ ١٢ أبريل ١٩٥٩، أن سبب التأخير في إعداد الرد على خطابك وإرساله إليك هو أن خطابك كان يتضمن عدة حقائق وإشارات تطلبت دراستها بعض الوقت .

بالإضافة إلى ذلك، فقد رأيت أن تقرير سفيركم بالقاهرة السيد ديمتري كيسيليف حول لقائي معه أثناء تسلمي رسالتك وما أبلغته للسفير قبل قراءتي للنص الكامل لخطابك، يتضمن جزءا كبيرا من الرد على رسالتك .

لقد تحدثت بشكل علني ومنصف في خطابك عن ان الغيوم بدأت تكسو علاقاتنا وذكرت الأسباب التي أدت إلى تفاقم العلاقات على هذا النحو . أرى أنه من واجبي قبل الحديث عن وجهة نظري إزاء تلك الأسباب، أنه لابد من الإشارة إلى أنه لا يوجد من يأسف على ذلك الحال الذي آلت إليه علاقاتنا أكثر مني . لقد كنتُ أشعر بالفخر والاعتزاز، وما زلت كذلك، بتلك الصداقة التي تربط بين شعبينا، خاصة وأننا استطعنا من خلال هذه الصداقة التغلب على بعض الصعوبات التي وقفت في طريق النهضة التاريخية لإقليم الشرق الأوسط نحو

(٥٧) أرشيف السياسة الخارجية لروسيا الاتحاديةن مخزن رقم ٨٩، قائمة رقم ٢٢، حافظة رقم ٤٩، ملف رقم ١٢، السطور : من ٦٥-١٠٣. ملحوظة : مكتوب في أعلى الرسالة " تسلم خروتشوف الرسالة علي يد السفير محمد الكوني – سفير الجمهورية العربية المتحدة لدى موسكو – في ٢٢ مايو ١٩٥٩ . مترجم من اللغة العربية ".

الاستقلال الوطني، وهي صعوبات كان من الممكن وأن تتحول إلى خطر كبير يهدد سلام العالم أجمع .

كما أنني ما زلت أشعر بالاعتزاز لأننا استطعنا من خلال علاقاتنا معكم إنشاء نموذج يحتذي به أمام الكثير من الدول الصغرى بقارتي أفريقيا وآسيا، نموذج لعلاقات دولية بين دولتين مختلفتين من حيث الوزن والبناء الاجتماعي، وبالرغم من ذلك فقد وجدت هاتين الدولتين التربة الجيدة للتعاون على أساس المساواة الكاملة .

نشعر أن ذلك التعاون القائم بين بلدينا على أساس المساواة قد اتخذ أبعادا معينة لينطلق منها خارج حدودنا وأصبح نموذجاً لكثير من الشعوب التي تمر بنفس تلك المراحل في نهضتها . أعتقد، سيادة رئيس الوزراء، أنه بمقدورك أن تجد في إطار تطوير علاقاتكم بعدد من الدول الإفريقية والآسيوية الكثير من النماذج ذات التأثير الإيجابي مثل النموذج الحي الذي أنشأناه سويا من خلال علاقاتنا الثنائية معكم .

لا نرغب من جانبنا في القضاء بسهولة على تلك الانجازات التي حققناها في مجال العلاقات الدولية تحقيقاً لمبادئ باندونج.

بالإضافة إلى ذلك، تعلم سيادة رئيس الوزراء، أنه إذا ما تم تحديد قوة الدول الكبرى في إنجازاتهم في مجال السلاح النووي والصواريخ العابرة للقارات، فإن قوة الدول الصغرى في صراعها الدولي تتحدد من خلال إسهاماتهم في تطوير وتنمية علاقات الصداقة الدولية . لقد كانت صداقتنا معكم عاملا كبيرا لإسهامنا في العلاقات الدولية لدرجة أنه من الصعب على أي شخص أن يتصور أننا نقوم بأنفسنا بالقضاء على هذا الإسهام . الأمر سيتضح أكثر إذا ما ألقينا الضوء على الموقف الذي تعلمه أكثر مني بشأن موقف الإمبريالية إزاء القومية العربية، تلك الإمبريالية التي تنتظر اللحظة المناسبة لكي تستعيد ما سبق وأن فقدته نتيجة لانتصارات الشعوب في المنطقة، تلك المنطقة التي ظلوا

ينظرون إليها على مدى قرون طويلة على أنها منطقة نفوذهم وأرادوا العودة إليها مرة أخرى لاستعادة نفوذهم وتعزيز أوضاعهم.

إذا لم يكن الخطر الناجم عن الإمبريالية يترصد بنا، لأجبرنا حرصنا على الصداقة معكم لبذل قصارى جهدنا للحفاظ على هذه الصداقة.

تعلم جيدًا، عزيزي رئيس الوزراء، أن صداقتنا قد فتحت لنا الباب أمام التعاون البناء والوثيق، وهذه الصداقة لا تُعد شيئاً قابل للمساومة فهي ليست بصفقة تجارية يمكن استخدامها لمعارضة التكتلات والتحالفات الدولية المتنافسة.

فقد كانت هذه هي المبادئ التي نؤمن بها، وكانت دافعا في يوم ما لمهاجمتنا، ومهدت لكم الطريق لفهمنا بشكل صحيح، وذلك على الرغم من إنكم في بداية انطلاق ثورتنا الوطنية ١٩٥٢، كنتم تحت تأثير المعلومات الموجهة عن الثورة والتي كان ينشرها المجموعات السوفيتية في دولتنا .كما يمكنكم أن تجدوا في صحافتكم وقنواتكم الإذاعية، في الأيام الأولى لثورتنا، تلك الإشارات والإيحاءات التي تشير إلى الزعم بأن حركتنا تحمل طابعاً فاشياً على الرغم من أننا، كما تتذكر، كنا نقود حرباً ضارية وشرسة ضد الإمبريالية البريطانية. غير أن هذا الموقف في بداية ثورتنا لم يذبذب إيماننا بمبادئنا ولم يغير من امتناننا لكم عندما اقتنعتم، من منطق الأحداث، بالتصور الخاطئ عن ثورتنا المنقول إليكم. فنحن، معالي رئيس الوزراء، أدرنا معركة ضد التحالفات العسكرية الإمبريالية، ومما لا شك فيه أن تلك التحالفات والتكتلات كانت موجهة ضد دولتكم وشعبكم، وكانت تهدف لتطويق دولتكم بالقواعد العسكرية والجوية المخصصة للمقاتلات الذرية. وقد رفضنا، معالي رئيس الوزراء، من خلال التمسك بمبادئنا ان نكون إحدى الحلقات في سلسلة حصار بلادكم والأهم من ذلك، أنه من المفترض وأن تتذكر سيدي أن معركتنا ضد التكتلات الامبريالية والأفكار العدائية التي كانت موجهة ضد بلادكم لم تقتصر فقط على حدود دولتنا، بل إننا كنا نقود تلك المعركة لنصرة مبادئنا في كل أنحاء العالم، الذي يرتبط

تاريخه ومصيره بتاريخنا ومصيرنا نحن أيضا.

وفي هـذا الوقـت وفي ظل هذه الظـروف انهالت علينا، سـيادة رئيس الوزراء، اتهامـات لا حصر لهـا من جانب الأوسـاط الإمبريالية والصهيونيـة وهي معروفة لديـك جيداً. اتهمونا بأننـا لا نعرف مصالحنا الشـخصية، ويتعين علينا، وفقاً لمنطق الإمبريالية، أن نحول أراضي بلادنا إلى قواعد عسـكرية وجوية ذرية. واتهمونا كذلك بأننا نعمل على نسـف وتقويض وحدة العرب، حيث تتمثل الوحدة وفقا لمنطقهم في أن نسير مع هؤلاء الذين أسسوا حلف بغداد الإمبريالي أو بمعنى أكثر دقة أن نتغاضي عنه.

و يجيء من ضمن الاتهامات التي وجهت إلينا، أننا نتدخل في الشئون الداخلية للـدول الأخرى وأن عـدم تدخلنا يعني، وفقـا لمنطقهم، موافقتنـا على انضمام الـدول العربية إلى حلف بغداد وتوريط الشـعوب العربيـة في «الحرب الباردة» لكـي تستطيع الإمبريالية فيما بعد توريطهم في مغامرة الحرب الساخنة، التي كان من الممكن أن يـزداد خطرها إذا نجح حلف بغداد في تحقيق أهدافه. غير أن عزيمتنا في عدم المشـاركة في هذا الحلف هي التي ساعدتنا في البقاء على موقفنـا إزاء تلـك المعركة وهو موقف لا هـوادة فيه، موقف معـادي للتحالفات الامبريالية العدائية وباقي التحالفات الأخرى التي ظهرت قبل مؤتمر باندونج.

أسـهم إيماننـا بالقوميـة العربيـة في نجاحنـا في تصديـر معركتنـا ضد الإمبرياليـة خارج حدود بلادنا للدفـاع عن الأمة العربية. كما تعلم، سـيادة رئيس الوزراء، فإن دسـتورنا ينص على أن شـعبنا يُعد جـزءاً من الأمة العربية، وكان ذلك منصوصاً عليه في دسـتور سوريا قبل إعلان الوحدة معنا، وكان منصوصـاً عليه كذلك في دسـتور العراق بعد الثورة الوطنيـة ١٤ يوليو ١٩٥٨. وعليـك أن تتذكر جيـداً أن تلك المواجهة المفروضـة علينا لمحاربة كل تلك القـوى يهدف إلى إضعـاف إيماننا بمبادئنا. فها هي قـوات الاحتلال البريطاني، التي ظل شـعبنا يقاومها على مدار عشـرات السنين دون الشـعور بالملل، سعوا إلى عـزل جـزء من أراضينا. ولكننا أشـهرنا السـلاح في وجههـم لكـي نحول

فكـرة عودة قـوات الاحتلال إلى أراضينـا إلى جهنم وبئس المصـير . لقد حاول الانجليـز أثناء جلوسـهم معنا على مائـدة المفاوضات، بكل الطرق وأسـاليب المكـر والخـداع بـتر أيدينا اليسـرى باعتبارهم منحونـا اليد اليمنـى، غير أن كل ألاعيبهـم كانـت مفضوحـة، واضطـروا في خريـف ١٩٥٤ التوقيع على اتفاق الجلاء[٥٨]، وعندما رفضنا تلك التحالفات العسـكرية الإمبريالية، بدأت محاولات إذلالنا من خلال احتكار السـلاح ومنع بيعه لنا، وتحريض إسـرائيل علـى مهاجمتنـا كما حـدث أيام الهجوم علـى غزة في ٢٨ فبرايـر ١٩٥٥ . وبعد ذلك بدأ فـرض العقوبات الاقتصادية علينا تمهيـداً للوصول إلى فرض الحصار الاقتصـادي الكامل . ثم بدأت حملة إعلامية شرسـة تسـيء لأهـداف ثورتنا. وبلغـت تلـك الحملة ذروتها في الشـهور الأولى مـن عام ١٩٥٥ عندمـا بدأنا أولى معاركنا للقضاء على حلف بغداد.

تتذكـر، معالـي رئيس الوزراء، أنـه في تلك الفترة لم تكـن العلاقات بين بلدينـا قـد توطدت ولا حتى التعـاون . وبالنسـبة لنا فقد انطلقنا مـن مبادئنا الـتي نؤمن بها واعتبرنـا ان واجبنا الوطني هو الدفاع عن تلك المبادئ بكل قوتنا وبشكل حازم دون أن نبخل بالضحايا في سبيل ذلك . ولكن للأسف الشديد فـإن هذه المبادئ لم تحظ بذلـك التفاهم، الذي كانت تحظى بـه من قبل، والتي كنتم ترونها من الأولويات في وقت ما والآن باتت من وجهة نظركم تمثل عبئًا كبيرًا .

إذا مـا كان صبرنا، عزيمتنا، ومثابرتنا واسـتعدادنا لتقديـم الضحايا اقل عمـا كان عليـه في الواقع، لكان مـن الصعب علينا، سـيادة رئيس الوزراء، مقاومـة الإمبريالية والتصدي لها كمـا نفعل الآن، فقد رفضنا عمل صفقات معهـم حول اسـتقلالنا، رفضنـا خططهـم العدوانيـة، أفشـلنا مخططاتهم عن بلادنا، تحملنا الظـروف الاقتصادية الصعبة واحتملنا حرب الأعصاب، تغلبنا علـى المصاعب الناجمة عـن احتكار السـلاح . ولولا تلك العزيمـة والمثابرة لما اسـتطعنا، معالي رئيس الوزراء، أن نجرؤ على مد أيدينا لكم بطلب تزويدنا

(٥٨) من المرجح أنه يكون قد تم وضع هذا السطر أثناء القراءة .

بالسلاح . وقد وافقتم على مطلبنا ونشكركم على ذلك، وافقتم على بيع السلاح لنا، لأنه لم يصبح لديكم أدني شك في أن ثورتنا الوطنية تضرب بجذور عميقة في أرض آبائنا .

وهكذا، سيادة رئيس الوزراء، فقد أكدت التجربة العملية والأحداث لكم أهمية تغيير وجهة نظركم وتعاملكم مع ثورتنا الوطنية، وعليكم أن تفهموها الآن بشكل صحيح وليس بشكل مغلوط قامت بنشره بعض المجموعات التي حملت راية الشيوعية وفشلت في محاولاتها لاستغلال الثورة الوطنية في مصر لتحقيق أغراضها ومطامعها .

وهكذا فقد أخذت نتائج هذا التفاهم تؤثر بشكل إيجابي على العلاقات المتبادلة فيما بيننا، ودخلت العلاقات في مرحلة جديدة من تاريخ تطويرها وباتت تتأسس على مبادئ التعايش السلمي .

تعلم، سيادة رئيس الوزراء، القوى الإمبريالية قد أُصيبت بقلق بالغ وهي ترى تلك النهضة الضخمة لنموذج العلاقات الذي كان يربطنا بكم على الصعيد الدولي وقد حاولت تلك القوى نسف تلك العلاقات بشتى الطرق . وأذكر على سبيل المثال، إن القوى الإمبريالية أخذت تكيل لنا الاتهامات بأننا أصبحنا مجالاً لنفوذهم أوإحدى مستعمراتهم . واخذوا بعد ذلك يبثون بذور الشك لدينا في علاقاتنا معكم ويصورون لنا الأمر على إنهم يمدون لنا يد العون والمساعدة بهدف واحد يتمثل في تحويلنا إلى دُمية لهم في الحرب الباردة .

والأكثر من ذلك أن تلك القوى الإمبريالية حاولت غوايتنا وتضليلنا لحيادنا عن طريق التعاون معكم . وكما تعلمون في هذا التوقيت على وجه التحديد، كانوا يقترحون علينا تمويل مشروع بناء السد العالي، غير أن محاولاتهم الرامية للتشكيك في علاقاتنا بكم قد باءت بالفشل .

ومهما كانت تلك المغريات التي قدموها لنا، فلم تفلح في إجبارنا على التضحية بمبادئنا ومعتقداتنا . وبمجرد أن شاب القلق علاقتنا بالقوى الامبريالية، بدأوا استخدام العقوبات ضدنا نتيجة لثباتنا وصلابة موقفنا وعزيمتنا القوية : فقد تخلت الإمبريالية عن وعدها بمساعدتنا في تمويل مشروع بناء السد العالي . وكما تعلم، سيادة رئيس الوزراء، أن وسيلة رفضهم لتمويل مشروع السد كان يهدف وبدون أدنى شك إلى ممارسة الضغط على وضعنا الداخلي في الدولة المصرية في ذلك الوقت . وأصبحنا، سيادة رئيس الوزراء، أمام خيارين لا ثالث لهما : إما أن نستسلم لكل صور الضغط الذي يُمارس علينا وهذا يعني أن نفقد كل ما حققناه وكتابة شهادة الوفاة لمبادئ الثورة الوطنية بمصر، التي تُعد الركيزة الصلبة للقومية العربية، وعندئذ ستتحول كل تلك المنطقة لتصبح منطقة خاضعة لنفوذ الإمبريالية كما كان في العهد البائد وستصبح تلك المنطقة كذلك أهم قاعدة عسكرية للتحالفات الإمبريالية العدائية . والخيار الثاني : يجب علينا أن نصمد ونستجمع كل قوتنا وأن نضحي بأنفسنا وإظهار العزيمة القوية لأجل إفشال مخطط وأهداف الإمبريالية .

عادت قناة السويس لأحضان الشعب المصري، الذي بناها بكده وعرقه لتعود بالخير عليه وبدا هذا التصرف ( تأميم القناة – المترجمة) ضربة قاسمة ليس فقط في وجه قوى الإمبريالية، بل وكذلك في وجه كل القوى المتحركة وعلى رأسهم المحتكرون الذين توارثوا هذا الفكر من المئوية التاسعة عشرة .

وقد أجرينا هذه الخطوة بمفردنا، كما تتذكر سيادة رئيس الوزراء، حتى إننا لم نتشاور معكم في هذا الأمر، لكن لا نلقي عليكم مسئولية تداعيات تلك الخطوة التي سنواجه عواقبها بأنفسنا . لقد أدركنا منذ البداية أن المعركة ستكون حامية الوطيس، ولكنها كانت بالنسبة لنا معركة دفاعية حتمية، لأننا لا نريد السير في طريق الاستسلام والخنوع الذي فرضته علينا الإمبريالية . أعربنا لكم عن بالغ شكرنا ووافر احترامنا عندما

أعلنتم تأييدكم لموقفنا بعد ٣٦ ساعة من إعلان خبر تأميم قناة السويس. وقبل إعلانكم لموقفكم كنا نعلم جيداً أنكم معكم كل الحق في دراسة هذه الخطوة الهامة للأحداث والتي بدت مفاجأة لكم، وأدركنا أنكم ستقيمون النتائج قبل تحديد موقفكم.

وبعد إعلان قرار تأميم قناة السويس حاولنا بكل طاقتنا ان نوضح للرأي العام العالمي موقفنا وإفشال العديد من المخططات العدائية التي وضعتها القوى الإمبريالية. توجهنا إلى منظمة الأمم المتحدة لتجنب الاشتباك المسلح الذي من الممكن أن يهدد سلام العالم أجمع.

لا يمكننا، سيادة رئيس الوزراء، أن نسرد كل هذه الأحداث دون أن نعطيكم قدر حقكم وباقي الدول الصديقة وعلى رأسها جمهورية الهند، الذين بذلوا قصارى جهدهم للوصول إلى حل سلمي لهذه القضية، وذلك في الوقت الذي كان تدوي فيه قعقعة السلاح في كل أرجاء العالم. حيث لم تجد الإمبريالية، التي فقدت قاعدتها في بلادنا وفقدت نفوذها في المنقطة المحيطة بنا وفقدت نتيجة لكل هذه الهزائم منطق الحقيقة والعدالة، لم تجد أية وسائل أخرى سوى السلاح. أرجو أن تقبل اعتذاري، سيادة رئيس الوزراء، لأنني أكرر كل هذا الآن، ولكني أرى أن هذا أمراً ضرورياً في المرحلة الحالية من علاقاتنا، إذا ما أردنا إزالة تلك الغمة التي بدأت تعكر صفو تلك العلاقات. لم يتم حتى الآن طرح كافة الموضوعات بوضوح كامل، لا يمكننا أن نغفل سوء التفاهم الذي حدث بسبب الفهم الخاطئ أو عدم دقة عملية الترجمة كما يبدو لي. لا أخفيك سرًا أنني عندما انتهيتُ من قراءتي لخطابك الذي أرسلته بتاريخ ١٢ أبريل، كنتُ مذهولا من بعض الفقرات التي تضمنها الخطاب، لأنها شكلت لدى انطباع وكأنني أقرأ مقالا في إحدى الصحف الغربية التي لا تنقل الحقائق كما هي في الواقع.

والتفسير الوحيد الذي أستطيع أن أضعه لتحليل هذا الموقف هو أنه بسبب أخطاء غير مسموح بها في فهم الموضوع أو في عملية الترجمة. تتذكر، سيادة

رئيس الوزراء، إنك قلت لي في إحدى لقاءاتنا في مايو ١٩٥٨، أن أخطاء الترجمة تُعد أحد الأسباب المهمة في وقوع سوء الخلاف بينك والمشير يوسف بروز تيتو – رئيس اتحاد الجمهوريات الاشتراكية – الشعبية ليوغسلافيا . فمن الواضح إذن أن هذا السبب، الترجمة غير الدقيقة، قد أدى إلى ذلك التأثير السلبي على أزمة العلاقات فينا بيننا .

ومن هنا أريد أن أنتهز الفرصة لكي أقدم لك في تلك اللحظة الحاسمة تقريراً واضحاً عن وجهة نظري كما أتصورها وأسجلها تحريرا على الورق، دون الاستناد لا إليك ولا إلى ذاكرتي ولا إلى قدرة المترجم على نجاحه أو فشله في نقل العبارات المهمة .

**سيادة رئيس الوزراء!**

تتذكر كيف بدأ العدوان فجأة، في الوقت الذي كنا نعتقد فيه أن ذروة الأزمة قد انتهت بسلام، وأكدت الأنباء التي تلقيناها منكم في ذلك الوقت على صحة رأينا، وأن المباحثات، التي تقرر مواصلتها في جنيف وكان من المزمع عقدها في ٢٩ أكتوبر برعاية منظمة الأمم المتحدة، قد استبعدت إمكانية التدخل المسلح في هذه المشكلة .

غير أن العدوان، كما تتذكر معاليك، قد وقع في ذلك الوقت الذي كنا نستعد فيه للمباحثات في جنيف . ثم تعرضنا بعد ذلك للعدوان الخسيس، والذي لا أستطيع أن أجد وصفاً دقيقاً له أفضل مما ذكرت أنت في خطاباتك وتصريحاتك وأحاديثك العديدة والأخبار التي وصلت إلينا أثناء الأزمة المتوترة، ذلك الوصف الذي شكل انطباع جيد لدى الشعب المصري والشعوب العربية ولدى أنا شخصياً كمواطن عربي بالشكل الذي يجعلني عاجزاً عن إعطاء ذلك الوصف حقه كما يستحق. اسمح لي، سيادة رئيس الوزراء، أن أوضح هنا نقطة مهمة كانت وراء الجدال، الذي وقع بيننا، فقد قلتُ في كلمتي التي ألقيتها في دمشق أننا وقفنا لمواجهة العدوان الثلاثي بمفردنا في ساحة المعركة دون انتظار أية مساعدة من أي طرف .

ولكني شعرتُ أن هذا التعبير من خلال خطابك وأحاديثك قد ترك انطباعاً غير مستحب. أريد القول بأنه بالنسبة لي وأعضاء حكومتي لا يمكن وأن يخطر على بالنا التقليل من أهمية ذلك الإنذار الذي أطلقه رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت. غير أن هذا لا يعني أن الحقيقة التي لخصتها في خطابي لم تكن صحيحة.

لقد كنا بمفردنا بالفعل في ساحة المعركة.

حارب جنودنا بمفردهم في شبه جزيرة سيناء.

حارب جيشنا والشعب في شوارع بورسعيد بمفردهم.

كنا نعتمد فقط على مساعدة الله لنا.

أعتقد أنك تتذكر، سيادة رئيس الوزراء، أن وقت شن العدوان الثلاثي على مصر تزامن مع زيارة الرئيس السوري شكري القوتلي للاتحاد السوفيتي وانطلاقاً من بواعث التضامن العربي والأخوة الخالصة، فقد رأى أنه من الضروري أن يناقش مع قيادة حكومتكم مسألة نوعية تلك المساعدة التي تستطيعون تقديمها لنا.

كما تعلم، سيادة رئيس الوزراء، فقد بدأ العدوان الثلاثي على مصر يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ وبدأت زيارة الرئيس شكري القوتلي في ٣٠ أكتوبر. وقد أُتيحت لي الفرصة لمناقشة هذا الموضوع مع السيد نيكولاي بولجانين – رئيس الوزراء السوفيتي – بحضور عدد من قيادات وشخصيات عسكرية سوفيتية رفيعة المستوى. وبعد ذلك تلقيتُ خطابا من الرئيس شكري القوتلي حدد فيه موقفكم من العدوان، بعد لقائه مع قيادات الاتحاد السوفيتي. وملخص ما جاء في هذا الخطاب يتمثل في:

الاتحاد السوفيتي ليس على استعداد للتورط في حرب عالمية.

بناء على ذلك، لا يستطيع الاتحاد السوفيتي التدخل بقواته المسلحة أو بإرسال المتطوعين.

وأقصى ما يمكن أن يقوم به لمساعدتنا هو إرسال بعض الأسلحة لنا ومعها بعض الخبراء .

أؤكد لك، سيادة رئيس الوزراء، أنني قدّرتُ ما جاء في هذا الخطاب ولم يطرأ على بالي مطلقا حثكم على فعل ما هو اكبر من ذلك في ظل الظروف المعتمة التي تمر بها البلاد . وكل ما فعلته، واسمح لي أن أصارحك بهذا السر، أنني قمتُ بسحب هذا الخطاب من الملف الذي جاء فيه ووضعته في جيبي لأنني لم أكن ارغب في أن يطلع عليه أي شخص آخر، إذ من الممكن أن يضطرب فكره بعد قراءته لهذا الخطاب .

وظللت محتفظا بهذا الخطاب في جيبي إلى أن انتهت الحرب، بعد ذلك قررتُ أن أعيده للملف باعتباره أحد وثائق الدولة و دليل تاريخي .

أرى أن هذه الوثيقة تُعد شرفا كبيرا لنا، لأنها دليل قاطع على أننا كنا نحارب وحدنا في ساحة المعركة وأدركنا أننا سنظل وحدنا .

تدرك، سيادة رئيس الوزراء، أن التحذير السوفيتي، الذي لا يستطيع أحد أن ينكر أهميته، قد أصدرته موسكو وكان مفاجأة بالنسبة لنا بعد تسعة أيام من شن العدوان علينا . وظللنا طيلة هذه الأيام نحارب بمفردنا في ساحة المعركة وكان من الممكن أن نفقد عزيمتنا طوال تلك الفترة أو أن يتملك اليأس من نفوسنا وكان من الممكن كذلك أن نخضع أو نستسلم للدول الثلاثة المعتدية، التي هاجمتنا بغتة بعد يومين أو ثلاثة أو أسبوع من العدوان وأخيرا جاء صباح ذلك اليوم الذي أعلنت فيه موسكو إنذارها . ولكن ترى ما هو النجاح الذي كان من المتوقع وأن يحققه ذلك الإنذار، سيادة رئيس الوزراء، إذا ما كان كل شيء قد انتهى قبل تلك لحظة إعلانه . وبالتالي فإن المسألة ليست في أن الشعب المصري ظل يحارب بمفرده في ساحة القتال, وكان يعلم أنه سيظل يحارب بمفرده، وإنما المسألة في ذلك الإنذار الذي جاء بعد تسعة أيام من شن العدوان، الأمر هنا يرتبط بعزيمة هذا الشعب المستعد للتضحية .

وعلى أية حال فقد كنا سعداء بهذا الإنذار السوفيتي ومدى تأثيره على مجريات الأحداث، ولن نتوقف عن الحديث عنه بكل مشاعر الشكر والامتنان والعرفان بالجميل.

وكانت سعادتنا بتأثير هذا الإنذار هي احد أسباب تعرضنا لحملة شرسة وعنيفة بعد العدوان تم من خلالها توجيه الاتهامات ضدنا بأننا أغفلنا موقف الأمم المتحدة ودور الضمير العالمي في وقف هذا العدوان.

أما فيما يتعلق بتلك التصريحات المتعلقة بالعدوان والتي أثارت رد فعل غير مستحسن لديكم، فإن سبب ظهور مثل تلك التصريحات يتلخص في أن الكثير من المحطات الإذاعية التي تتحدث باسمكم وبعض الصحف الصادرة لديكم قد بدأت أثناء تصاعد الخلاف بيننا والحزب الشيوعي السوري الحديث عن مآثر وأفضال ذلك الإنذار وتصوير الوضع وكأن الشعب المصري لم يحارب والشعب السوري لم يتحرك والشعوب العربية في حالة من اللامبالاة وكأنهم ظلوا صامتين بدون حراك في انتظار ذلك الإنذار لكي ينقذهم.

أرى أنه من واجبي وضع الأمور في نصابها الصحيح والإشارة إلى الدور الحقيقي لشعبنا بالإضافة إلى جيشنا الذي كان يحارب بمفرده في ساحة القتال. لا أرى أنه من الممكن إخفاء تلك الحقيقة أو التقليل من أهميته أو تجاهل دوره.

أما فيما يتعلق بالحديث عن دور الله (عز وجل) في هذه المعركة، وذلك الموضوع الذي جاء في خطابك، وقد تكرر من قبل في عدد من محطاتكم الإذاعية حول مساندة الله لنا، وما قام به الاتحاد السوفيتي، فإنني أقول إننا لا نفرق بين دعم ومساندة الله لنا، والدور الذي لعبناه نحن؛ لأننا نؤمن بأن روح الله في قلوبنا هي التي كانت تقوى إرادتنا وعزيمتنا، وهذه ليست محاولة للترويج للدين، وإنما هي محاولة لإبراز وتوضيح أن المعايير المادية تبدو في حالات كثيرة غير كافية لتقييم الأحداث.

إذا ما استخدمنا تلك المعايير المادية بمفردها أثناء ذلك العدوان، لكنا استسلمنا بدون أية مقاومة؛ لأن الدول العظمى والدولة الثالثة معهم تُعد دُمية في أيديهم، قد هاجمونا من كل الجهات، أغلقوا منافذنا البحرية من خلال أسطولهم، وسيطر سلاح طيرانهم على المجال الجوي لدينا، وقد تأكد ذلك من خلال المعلومات المتوفرة لديكم آنذاك وما جاء في محطاتكم الإذاعية حول مشاركة أكثر من ١٥٠٠ طائرة من طائرات العدو في العمليات الجوية ضدنا .

واجهنا كل ذلك بمفردنا، سيادة رئيس الوزراء، حتى من وجهة النظر الجغرافية، وكان هناك العديد من الأحاديث التي تدور حول رغبتكم في تحريك جيشكم لمساعدتنا، ولكن كيف يصل إلينا هذا الجيش في الوقت الذي يفصلنا فيه بحر ودولة بعيدة عن هذا الخلاف .

اسمح لي أن أكرر مرة أننا قدرنا موقفكم واستوعبنا حيثياتكم، ولم نفكر مطلقاً في أن نطلب، أو نتوقع منكم الدخول في حرب عالمية لأجلنا . و نحن ندرك أنكم تقدرون الموقف بشكل صحيح، إذ أنه ليس من المنطق أن يدفعكم وضعنا آنذاك للدخول في حرب عالمية ثالثة؛ لأن ظروف دولتكم تملي عليكم اعتبارات خاصة، لاشك أن معاييركم تستند إلى أساس ولابد وأن يكون أصدقاؤكم هم أو لمن يدرك ويقدر ذلك و نحن اعتبرنا ومازلنا نعتبر أنفسنا أصدقاءكم،سيادة رئيس الوزراء، ولهذا فقد حاولنا ان نكون أول من يدرك ويقدر موقفكم .

وبعد انتهاء العدوان، سرعان ما أصبحنا عرضة لمحاولات أخرى، تهدف لتحقيق نفس تلك الأهداف العدوانية، غير أن الوسائل المستخدمة هذه المرة كانت أكثر هدوءا وأقل إزعاجا وظل هدف الإمبريالية كما هو – كتابة شهادة الوفاة لدولتنا – التي تُعد الركيزة الأساسية لحركة القومية العربية.

فالفرق بين المحاولات الجديدة والسابقة هو نفس الفرق بين محاولة اغتيال شخص بالرصاص ومحاولة قتله متضررًا من الجوع، فمحاولة قتله بالرصاص من

الممكـن أن تكـون أكثر جلبة وإثارة للضوضاء. أمـا محاولة قتله من الجوع فهي أكثر عنفًا وقسوة، وبدأت في ذلك الوقت محاولات، كما تتذكر، لعزلنا عـن باقي الدول العربية المجاورة لنا. تم فرض حصار اقتصادي علينا، اشـتعلت حالة من الريبة والشك بيننا وأشقائنا، تم نشر الشائعات المغرضة ضدنا.

ومن أكثر تلك الشـائعات المغرضة، تكرار القول بأننا نتدخل في الشـئون الداخليـة لدول الجوار المحيطة بنـا. قالوا كذلك أننا نتدخل في شـئون لبنان، الأردن ووصـل الأمرإلى حـد توجيه الاتهام لكـم ولنا بتدبير مؤامـرة تهدف إلى فرض الهيمنة والسـيطرة على الأردن وهو ما تم اسـتغلاله على أنه حجة لعمل انقلاب معادي للقومية في الأردن.

قيل كذلك إننا نتدخل في شـئون المملكة العربية السـعودية، السودان، ليبيا وتونس. المثير للدهشـة، عزيـزي رئيس الوزراء، انـك واصلت في خطابك، الـذي يعـود لتاريـخ ١٢ ابريل، باقي تلك السلسـلة مـن الاتهامـات بتدخلنا في شـئون الاتحاد السـوفيتي، ولكـن كم يبلغ طول ذلك الطريق لتدخلنا المزعوم في شـئون الآخريـن بداية من محاولاتنا بـالأردن وانتهاء بأن نتجـرأ على اللجوء لاسـتخدام هذا الطريق في علاقاتنا مع الاتحاد السوفيتي !!! وعلى أية حال فإن تعاملكم مع تلك الاتهامات التي التصقت بنا في الماضي يختلف عن تعاملكم الآن. فقد كنتم تعلمون إذن ما هو الدور الذي تلعبه الإمبريالية ومخططاتهم؛ وكانت برامجكم الإذاعية وصحافتكم وتصريحاتكم الشـخصية واحدة من أهم العوامل الرئيسـية في مسـألة كشـف تلك المؤامرة التي تهدف إلى عزل مصر عن العالم العربي، أي كشـف تلك المؤامرة التي كانت تتوارى تحت ستار مذهب إيزنهاور.

واصلتـم آنذاك التعاون الايجابي معنا بهدف إبعاد خطر تلك المحاولة الرامية لتحقيـق الأهداف العدائية بشـتى الطـرق العدوانية. لقد وافقتـم على طلبنا بشـأن اسـتقبال بعثتنا التي وصلت إليكم وعلى رأسـها المشير عبد الحكيم عامـر – القائـد الأعلـى للقـوات المسـلحة ونائـب رئيـس الجمهوريـة، لطلـب

مشاركتكم في تمويل مشروعاتنا الصناعية التي نرى ان تنفيذها في غاية الأهمية لكي نستطيع الصمود أمام ذلك الحصار الاقتصادي ومقاومة حرب الجوع التي شنوها علينا .

وبفضل روح التعاون التي وجدتها بعثتنا في عاصمتكم وبفضل الجهود التي بذلتموها، فقد استطعنا التوصل إلى إبرام اتفاق للتعاون الاقتصادي في ١٨ نوفمبر ١٩٥٧ . وقدمتم لنا وفقا لهذا الاتفاق مبلغ بنحو ٦٢ مليون جنيه مصري في صورة قرض طويل الأجل مخصص لتنفيذ خطط التنمية الاقتصادية لبلادنا . أعتقد أنه من الضروري أن أذكرك هنا أنه و نحن نناقش ذلك بمنتهى الصراحة، في محاولة لإزالة تلك الغمة التي عكرت صفو علاقاتنا، بأن البعثة المصرية في موسكو قد تعرضت لشئ ما لفت انتباهها . فقد جرت مباحثات بين السيد زايتسيف – رئيس قسم الشرق الأدنى بوزارة خارجية الاتحاد السوفيتي آنذاك وهو الآن يشغل منصب السفير السوفيتي بالعراق، وثلاثة من أعضاء الوفد المصري وهم : العقيد حافظ إسماعيل- مساعد رئيس أركان حرب الجيش، العقيد عبد العزيز مصطفى – قائد قوات المدرعات، العقيد جمال عفيفي – رئيس وحدة عمليات القوات الجوية . حيث استمع الثلاثة أثناء المباحثات التي جرت في الكرملين إلى النقاط الآتية التي جاءت على لسان زايتسيف :ـ « إن مسألة حياد الدولة هذا هو مجرد – قصة، ويتعين على مصر وأن تختار معسكرًا دوليًا لكي تنضم إليه، فمصر لن تجد القوى الحقيقية إلى أن تنضم إلى معسكر قوي» «لماذا تخافون من الشيوعية؟ اعتنقوا هذا المذهب و نحن سنجعلكم أقوياء وندافع عنكم . الحياد – ما هو إلا لعب على الحبل، ولا يمكن أن يستمر طويلا».

عندما تم ترجمة هذا الحديث للمشير عبد الحكيم عامر، رئيس البعثة المصرية، قرر ألا يعلن ذلك خشية أن يتشكل انطباع سيؤثر سلبا على علاقاتنا . وقد أثر كما أثرت أنا أيضا عندما علمت بذلك الأمر ألا نصنع أزمة تعكر صفو علاقاتنا . وعلى أية حال، فإن التعاون الذي بدأ أثناء المباحثات حول

الاتفـاق الاقتصادي، ونتائج تلك المباحثات قد أكدت لنا أن السـيد زايتسـيف كان يعبر عن رأيه الشخصي. ولكن لسوء الحظ، فإن بعض الأحداث الأخيرة والجهود التي بذلها السيد زايتسيف بوصفه سفيراً للاتحاد السوفيتي بالعراق قد زرعت بداخلنا فكرة أن الأمر خرج عن إطار كونه مجرد رأي شخصي لسعادة السفير. وبالرغم من ذلك، فقد تم وضع البرنامج الاقتصادي وبدأت الآمال تنعقد عليه . ومناقشـة هذا البرنامج في المجلس التشـريعي لمصر قـد أعطانا الفرصة لكـي نعرب عن عميق شكرنا مرة ثانية للاتحاد السوفيتي .

لابـد وأن أجيـب هنا، سـيادة رئيس الـوزراء، على ملحوظتك الـتي تضمنتها رسالتك بشأن المساعدة الاقتصادية التي لا تفرضوها على من لا يرغبها .

أريد أن أؤكد لك، سـيادة رئيس الوزراء، أننا نحن من سعينا للحصول على هذه المسـاعدة الاقتصادية مـن جانبكم وقد طلبناها بشـكل جريء ونزيه. وأؤكد لك كذلك أننا نعتمد على هذه المسـاعدة ولا نراها تمثل قيد او عبء يكبـل حريتنا، ونقول لكم ذلك بكل جـرأة ونزاهة، والدليل على ذلك أن تلك المساعدة لا تعوقنا عن أن نعرب لكم بتلك الجرأة عن رأينا في موقفكم تجاهنا كما فهمناه .

سـيظل موقفنا كما هو بدون أيـة ادعاءات ولا تهاون، يبـدو لنا أنه عندما تتعرفون على تاريخنا، ستوافقوننا على هذا الرأي .

وأخيرا، فقد أسـهم عملنا المشترك في تفعيل اتفاق التعاون الاقتصادي الذي بات في مرحلة التنفيذ . ونسـعي من خلال هـذا الاتفاق لكـي نظهره أمام الرأي العـام العالمي علـى أنه نموذج حي لتجسـيد مبـادئ مؤتمر باندونـج التي نادت بالتعـاون الدولـي غير المشـروط في مجـال التنميـة الاقتصاديـة . لقد تحدثت المقـالات والتعليقـات الصحفيـة والبرامـج الإذاعيـة لجمهورية مصـر العربية بكل فخر آنذاك عنكم وعن تعاونكم البناء المخلص على أسـاس التعايش السلمي مع الدول التي تختلف معكم من حيث بنية نظامها الاجتماعي .

لقد حاولنا، بل و نجحنا في أن نمحو من ذاكرتنا بالكامل ذلك الانطباع التي شكلته لدينا كلمات السيد زايتسيف . ولكن لسوء الحظ، فقد قضت الأحداث بتذكيرنا بذلك الانطباع من جديد، لأن ما حدث في موسكو، قد بدأ يتكرر بنفس السيناريو الذي حدث في دمشق، عندما بدأت مسألة الوحدة الدستورية بين مصر وسوريا تتخذ طابعا عملياً في مطلع عام ١٩٥٨ .

لقد كنا على حق إذن في أن نسألكم عن موقفكم إزاء تلك الخطوة التي تعني تحقيق الحلم العربي الخالد بعد صراع طويل دام لمئات السنين .

لقد كنا على حق، سيادة رئيس الوزراء، في أن نسألكم عن موقفكم، لأنه كانت هناك حقائق تدل على أن التوجه الجديد نحو الوحدة لا يناسب ميولكم ورغباتكم . والدليل على ذلك يتمثل في تلك التصريحات، التعليقات والملاحظات التي أصدرها موظفو سفارتكم بدمشق . وتتذكر، سيادة رئيس الوزراء، أنني أرسلتُ لك في ذلك الوقت نماذج من تلك التصريحات الخاصة بموظفي سفارتكم . وتتذكر أنني سألتك عما إذا كانت تلك التصريحات تعكس وجهة نظر الحكومة السوفيتية أم لا، وجاءت الإجابة بالنفي .

من الواضح إذن أن موقف الحزب الشيوعي السوري، الذي لم يفلح في كسب التأييد الكامل من الشعب السوري، قد أثر على نظرتكم لتلك الوحدة . فالنائب الشيوعي بالبرلمان هو النائب الوحيد الذي كان يفضل أن يختبئ من بلاده لكي لا يرى كيف يحقق الشعب إرادته بنفسه .

وقد اقتنعنا بأن ممارسات هذا النائب البرلماني تعكس توجهكم وخاصة عندما رأينا أنه يزور بعض دول الكتلة الاشتراكية وحضر معكم المؤتمر الحادي والعشرين للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي وهاجم حكومة بلاده . وقد أثارت تلك الواقعة لدينا حالة من القلق والجزع، غير أن مصدر هذا القلق لا يمكن أن يتمثل في كلمات هذا اللاجئ . فقد جاءت نتائج الاستفتاء، الذي

جرى في سوريا، على مسألة الوحدة لتمحو بشكل نهائي ما جاء على لسان هذا النائب. وإنما المصدر الحقيقي لحالة القلق هذه هو أنه كيف يتم انتهاك مبادئ التعايش السلمي والانتقاص من حقوق شعب بأكمله لأجل شخص، هو في حقيقة الأمر لا يمثل تلك الأمة !.

والأمر الثاني الذي كان له تأثير على وجهة نظركم إزاء مسالة الوحدة بين مصر وسوريا، هو أنه بعد إعلان الوحدة في مطلع فبراير بالقاهرة، امتنع الاتحاد السوفيتي عن إصدار أية تصريحات حول رأيه في مسالة الوحدة من خلال المسئولين سواء كانت تصريحات عبر الإذاعة أو الصحف التي دائما ما تعكس وجهة النظر الرسمية.

وعلى أية حال، فإن مقتضيات الواقع والتاريخ والمستقبل لابد وأن تشق طريقها وها هي الوحدة قد تمت بالفعل.

أخذتُ أفكر في إمكانية اللقاء معكم، لكي نتبادل وجهات النظر ونتعرف سويا على مشاكلنا ونظرتنا للأحداث. ولهذا فقد كنتُ سعيداً جداً عندما وُجهت لى الدعوة لزيارة دولتكم العظمى في أبريل ١٩٥٨، وكانت هذه هي أولى زياراتي لدول الخارج بعد إعلان الوحدة بين مصر وسوريا.

وقد استفدتُ كثيراً من الحوار المثمر والمناقشات الهامة والتي ساهمت في استقرار العلاقات فيما بين البلدين، تلك العلاقات التي تأسست على مبدأ التفاهم العميق المتبادل. وعندما عدتُ إلى أراضي الوطن، كنتُ أتوقع أن يتحقق الكثير مما سبق، ولكن، سيادة رئيس الوزراء، اكتشفتُ مؤخراً أنني كنتُ مخطئا فيما توقعته.

أخشى، سيادة رئيس الوزراء، ألا تكون قد فهمت بدقة كل ما قلته لك أثناء لقاءاتنا سويا و ذلك بناء على رسالتك الأخيرة.

أؤكد لك أنني لا أستطيع أن أتخيل أنه مهما كان هناك أخطاء في الترجمة، حتى وإن كانت أخطاء جسيمة، فلا تستطيع أن تؤدي إلى ذلك الخلاف في وجهات النظر كما رأيتُ وكما هو واضح من رسالتك لي. ولابد وأن أصارحك القول، فإنني لم أجد في خطابك انعكاسا لآرائك التي أثق فيها . اعذرني، ولكن وجدتُ شيئا ما قريب من تلك البدع التي تختلقها الصحافة الغربية التي تهاجمنا بشكل عنيف لأجل تشويه صورتنا . ومنها على سبيل المثال حديثنا في موسكو حول الوضع في دول الجوار العربي .

لقد قلت إنني سألتك ما هو العمل لتغيير الوضع في تلك الدول باستخدام القوة وأنني طلبت منك المساعدة في ذلك وقد نصحتني بالتوقف عن التدخل في شئون تلك الدول كما جاء في خطابك. ولكني أؤكد لك، سيادة رئيس الوزراء، أنني اندهشتُ من تلك الرواية التي جاءت في خطابك لأن محتواها وتفاصيلها بعيدة كل البعد عن الحقيقة .

ولكن كان الأمر على هذا النحو، وتستطيع أن تعود للمترجم الذي ترجم حديثنا لكي تتأكد منه :

**سألتك** : كيف سيكون موقف الاتحاد السوفيتي إذا ما ظهرت محاولة من الداخل لتغيير الوضع في الدول القريبة لنا الخاضعة لهيمنة وسيطرة الاستعمار ؟

وأثناء الحديث قمتُ بتوضيح سؤالي :

أي إذا حدث ثورة بالعراق أو الأردن وتبعها تدخل إسرائيل بالاشتراك مع الدول الاستعمارية، كيف سيكون موقف الاتحاد السوفيتي في هذه الحالة إذن ؟

أعتقد أنك تتذكر، كما أنني أتذكر بدقة، إجابتك، سيادة رئيس الوزراء:

ـ نحن نفضل ألا يحدث أي شيء، ونفضل أن يكون أي تغيير يحدث من خلال الطرق السلمية.

**ـ قلتُ لك :**

ـ اعتقد أن إمكانية حدوث أي تحرك داخلي بالطرق السلمية في هذه الدول، التي يسيطر عليها الاستعمار هو أمر غير محتمل . ولكن الخوف هنا وارد، إذ ربما نعلم فجأة عن أي تحرك فعلى من جانب الجماعات الوطنية الفدائية لا تستطيع أن تسمح بأن يلحق بها ضرر من جانب الإمبريالية لكي يحطموا آمالهم .

**ـ قلت لي** : إذا ما استطعت التواصل مع هذه الجماعات، فعليك وأن تستغل نفوذك عليهم لكي لا يفعلوا ذلك .

**ـ قلتُ لك** : بالطبع فإن من يفكر في القيام بمثل هذا التصرف، فلن يكون هناك أي اتصال بيني وبينه وإنني أخشى أن نجد أنفسنا فجأة أمام الأمر الواقع و نحن غير مستعدين له .

انتهى حديثنا، ولكنني لم أحصل منك على إجابة شافية إزاء تلك المعضلة التي من الممكن أن نتعرض لها في أي وقت في منطقة الشرق الأدنى . وقد حدث في الواقع ما كنا نتوقعه! وأوضحت الحقائق أننا لا نستبق الأحداث .

والمثير للدهشة هنا أن محتوى خطابك كان يصور هذا الأمر على أنه أمر واقع، على النقيض مما كنتُ اقصده، ولم يخطر ذلك على بالي مطلقاً لأننا كنا في موقف المهاجم . كنتُ أرغب لو أننا في وضع الاستعداد للدفاع والحماية عن أنفسنا . فكيف يخطر في بالي على سبيل المثال شن هجوم بالقوة على دولة يهيمن عليها حلف بغداد بقدراتها العسكرية إلى جانب القدرات العسكرية للدول الأعضاء بالحلف ؟ لم يخطر على بالي فكرة أن يتم رفع السلاح العربي في وجه أية دولة عربية . لقد تعرضتُ في الماضي لعدة أعمال استفزازية من جانب القوى الإمبريالية، بهدف التأثير على أعصابنا، والابتعاد عن الأسس والركائز التي نقف عليها في نضالنا الطويل . وفي كل مرة كنا ننجح في إفشال مخططاتهم وأعمالهم الاستفزازية .

والأمر الذي يثير دهشتي، هو أنك تصور الأمر وكأنني أريد مساعدتكم في شن حملة عسكرية ضد الدول العربية. فهذا ممكنا في حالة إذا ما رأينا خطر ما يهدد أية دولة عربية، مهما كانت ظروفها، فهو خطر يهددنا نحن. فكيف لنا إذن ان ندفع بكم إلى هناك و نحن يتعين علينا مواجهتكم في ظل التضامن مع شعوب امتنا في حالة تعرضهم لتهديد من جانبكم.

وهكذا، إذا ما كنا قد رأينا أنه يجوز التفكير في تغيير الوضع بالعراق، أو الأردن باستخدام القوة، فإن إنجاز هذه المهمة لم يكن امرأ صعبا لان الجيش السوري متواجد في الأردن ولم يكن من الصعب إصدار الأمر له بالتحرك لبدء الأعمال العسكرية. غير أن هذا لا يتعارض ومبادئنا فحسب، بل هو إدانة لكل قطرة دماء عربية تسيل من أرواح شعبنا.

أعتقد، سيادة رئيس الوزراء، انك لن تسمح بأن يسير مثل هذا الحديث فيما بيننا على نحو مغاير لما جاء في خطابك. فها أنت تكرر بحزم انك تعتمد على تسجيلات المترجمين أثناء مباحثاتنا، ولكني هنا أعتمد على ذاكرتي فحسب. وفي الحقيقة فإنني لا أستطيع أن أحمل ذاكرتي ما لا طاقة لها به، ولهذا فقد كنتُ أقوم بعد كل لقاء يدور بيننا بعقد اجتماع مع لجنة من أعضاء الوفد وأروي عليهم ما دار بيننا ونقوم بتسجيل ذلك في محاضر.

وقد اندهش أعضاء اللجنة لتلك العبارات التي جاءت في خطابك، وكان من بين أعضاء اللجنة أكرم الحوراني -نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة - الذي اندهش لما جاء في خطابك بشأن شكواي إليك منه .وهذا أمر مستحيل سواء كان من ناحية المبادئ التي أؤمن بها، أو من جانب الأخلاق التي لا تتجزأ عن السياسة. فعندما نمارس السياسة نهتم بعدم عقد صفقة على حساب المبادئ وعدم فصل الكرامة عن المصالح.

أتذكر كذلك وزملائي ذلك الحوار الذي دار بيننا وتطرقنا فيه لمسألة الوحدة، فهذا الحديث مُسجل في محاضر قد أمليتها بعد لقائي مباشرة.

لم أبد أية إشارات للاستهجان والاستنكار لرفضك الكامل لموضوع الوحدة، فالأمر ليس بيدي لكي أقنعك بها . وقد حدثتني عن قادة الأحزاب السورية وقلت لك أن كل العناصر البطولية في سوريا تشارك في مكتبي وذكرت لك أسماءهم وسألتك من الذي تقصده منهم، قلت لي العاظم . وأدركت أنك تقصد السيد خالد العاظم ولم أستطع السماح لك بمواصلة الحديث حول هذه الأسماء وانتقلنا إلى موضوع آخر .

أدهشتني كذلك كلماتك التي جاءت في خطابك حول أول لقاء دار بيننا في موسكو ؛ ولكن ما أثار دهشتي أكثر هو حديثك حول لقائنا في يوليو بعد اندلاع الثورة بالعراق .

وكانت أول فكرة طرأت في رأسي بعد اندلاع تلك الثورة هو الالتقاء معك. وكان هذا الحدث الذي توقعته في ضوء مناقشتنا في أول اجتماع بموسكو .

فكما توقعت ان يحدث نهوض للقوى الفدائية بالجيش العراقي، ولا يمكن السماح بإعطاء الفرصة للاستعمار لتقويض ونسف تلك الثورة الوطنية الوليدة و كان موقفنا واضحا وتمثل في أننا سنقف إلى جانب تلك الثورة مهما كانت العواقب والتداعيات .

أما فيما يتعلق بموقفكم من الثورة، فقد جال بخاطري أن تطور الأحداث الجديدة سيجعل الظروف مناسبة بشكل أفضل لكي نسمع منكم إجابة واضحة على السؤال الذي طرحته عليكم في صورة اقتراح في إطار أول اجتماع بيننا في موسكو . وقد أسهمت الأحداث في تحويل هذا الاقتراح إلى أمر واقع .

وكان هذا أحد الأسباب المباشرة التي جعلتني أطلب اللقاء معك في الوقت والمكان المناسب لك . وقررت أن يجري هذا اللقاء في موسكو . ولسوء الحظ لم افلح في الحصول منك على إجابة واضحة على ذلك السؤال الذي طرحته عليك في شهر أبريل . وجاءت الأحداث التي وقعت في شهر يوليو لتطرح نفس السؤال بشكل عملي . والآن تفسر لي عدم إعطائك إجابة كاملة على هذا السؤال

بأنك كنت تخشى من أنه بعد علمي بتلك المساعدة اللامحدودة، فإنني لن أتورع عن التحرك العسكري مما سيزيد الوضع سوءا وتعقيدا.

غير أنني لم أقتنع بهذا التفسير، وأردت أن أسال ما الهدف إذن من ذلك التحرك العسكري الذي من الممكن أن الجأ إليه لإشعال الموقف ؟ في ذلك الوقت كانت الثورة الوطنية بالعراق في مهدها، وكان موقفنا دفاعي، بعد أن قام الأسطول الأمريكي السادس بإنزال البحارة على الشاطئ اللبناني، وانتشرت قوات الإنزال الإنجليزية في الأردن . هل من المعقول وسط كل هذه الأجواء أن نفترض بأننا في وضع يسمح لنا بشن تحرك هجومي ؟

دعنا نفكر، سيادة رئيس الوزراء، حتى إنه إذا ما علمنا باستعدادكم للوقوف بجانبنا، هل سنتحرك لمهاجمة الأسطول الأمريكي السادس المسلح نوويًا والمزود بصواريخ موجهة . أو حتى هل من الممكن ان نهاجم المناطق المتمركزة فيها قوات الإنزال الا نجليزية بالأردنأو قواعدها الجوية في قبرص .

أعتقد أنك توافقني الرأي، سيادة رئيس الوزراء، في أن كل تلك التفسيرات تثير علامات التعجب، وما يثير الدهشة والعجب كذلك هو خطابك الذي أوضحت فيه إدراكك لطلبنا المساعدة العسكرية آنذاك . لقد طلبتُ منكم آنذاك كمية من المقاتلات وهذه حقيقة ولكن هذا طلب عادي لتقديم السلاح . طلبتُ منكم كذلك مدفعية نفاثة متوسطة المدى، وقلت في خطابك، وهذا صحيح، أنني طلبتُ بالفعل صواريخ يصل مداها لـ ٥٠ او ٧٠ ميل، واندهشنا من تفسيركم لطلبنا موضحا لى أن الصواريخ المتوسطة المدى الموجودة لدى الاتحاد السوفيتي تعمل على مسافة من ٢-٤ آلاف ميل . وقد أوضحت ما طلبته والمدى المطلوب . ولكن من الواضح أنه نظرا لوقوع خطأ في ترجمة rockets (صواريخ) وهو ماطلبته، و كلمة Missiles (قذائف موجهة) وهي ما لم أطلبه، فقد كان الخطأ هنا على الرغم من أنه من الصعب أن أهدئ نفسي بمثل تلك التفسيرات لهذه الواقعة في ضوء ذلك الاختلاف بين الواقع الموجود آنذاك وما جاء في خطابك المؤرخ في ١٢ أبريل .

وعلى أية حال، فبعد عودتي إلى دمشق بعد لقائنا في موسكو، سرعان ما عقدت اجتماع مع وزراء الجمهورية العربية المتحدة ولخصت لهم المحاور التي تحدثنا فيها سويا .

" لابد وأن نتحرك نحو الأفضل، ولكن يجب علينا كذلك أن نكون مستعدين لما هو أسوأ". نحن نؤمن دائمًا بالسلام، وليس هذا هو سبب عدم امتلاكنا أسلحة لشن الحرب، وإنما إيماننا بالسلام في ظل كمية الأسلحة القليلة التي نمتلكها لم يعرقلنا عن استعدادنا لاتخاذ إجراءات دفاعية ضد كل من تسول له نفسه بالتطاول والاعتداء علي سيادة دولتنا .

وفي الوقت نفسه، فقد كانت الثورة العراقية هي بداية الأزمة التي ضربت علاقتنا، على الرغم من أن هناك محاور كثيرة وردت في رسالتك قد فتحت أعيننا على أن أسباب سوء التفاهم فيما بيننا، بدون علمنا، كانت قائمة قبل وقت طويل من اندلاع تلك الثورة . كما أوضحت لسعادتك، سيادة رئيس الوزراء، بعد أن ناقشت تفسيرك للقائنا الأول والثاني في موسكو، فإن هذا التفسير يتعارض تمامًا والحقيقة التي يؤكدها منطق الأحداث وليس الاعتماد على ذاكرتك أو ذاكرتي. لقد اعتقدت أنك ستكون أول من يقدر موقفنا النزيه من دعم ثورة العراق . خاصة وأنك رأيت بنفسك استعدادنا للتضحية بأنفسنا، وكذلك أن تكون أول من يلفت نظرنا نحو الخطر الذي تعرضنا له في ذلك الوقت. ولا أنسي كذلك تلك الجهود التي بذلتها لتأمين عودتي الحميدة إلى أرض الوطن وتكليفاتك لأجهزة مخابراتك ووزير الأمن الجنرال سيروف لتنظيم الإجراءات الأمنية للحفاظ على أمني في ظل تلك الظروف .

وأتذكر كذلك ذلك الاستقبال الباهر والحار الذي كان في انتظاري واقتراحك بتناول نخب تشريفا لي باعتباري قائدا وزعيما كل العرب . اعتبرتُ هذا النخب ما هو إلا مجاملة لي . ولكن أوضح أن قيادة جميع العرب لا يُعتبر هدفا اسعي لتحقيقه، فهذه القيادة لا يمكن وأن تمنح لأي عربي

يعيش خارج حدود الوطن العربي . وأتذكر تلك الحقيقة التي اختلف موضعها في خطابك، عندما قلت إنني بعد اندلاع الثورة في العراق، حاولت فرض قيادة محددة على شعبها وأن هذا كان سببا وراء الأزمة التي وقعت بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق، كما كان ذلك هو أحد الأسباب وراء تلك الغمة التي حلت بعلاقاتنا.

قلتُ لك، سيادة رئيس الوزراء، أنني كنتُ أتوقع أن تكون أول من يقدر موقفنا النزيه في مسألة مساندة ودعم ثورة العراق . توقعتُ ذلك ليس فقط بسبب قربكم من الأحداث المرتبطة بالعواقب غير المتوقعة للثورة، بل لأنه، كما تصورت، لا أحد غيركم يستطيع أن يدرك طبيعة الأحداث في تلك المنطقة والتيارات التاريخية العظيمة والعمليات الأخلاقية والاجتماعية التي تحرك الأحداث . ويتمثل أول دليل عملي على تصوري هذا في موقفكم نحونا أثناء الأزمات التي افتعلتها قوى الإمبريالية والتي اتهمتنا بها إزاء بعض الدول العربية، كما هو الحال الآن بالنسبة للحزب الشيوعي بالعراق الذي يتهمنا بنفس تلك الادعاءات على العراق .

في ظل هذه التجارب السابقة، رئيس الوزراء، والحملات التي نتعرض لها الآن، جاء موقفكم ليعكس الفهم الصحيح للأسباب التي أجبرت القوى الإمبريالية على شن حملة لنزع الثقة والتشهير بنا .

ومن ناحية أخرى، فإنني أتصور، سيادة رئيس الوزراء، أن تكون مباحثاتنا معكم حول القومية العربية قد استطاعت أن تشكل تصور واضح لديكم حول مدى إيماننا بالقومية العربية .

من الغريب أن نسمع في الوقت الحاضر عن قيام بعض الأوساط المختلفة بشن هجمات على القومية العربية في جوهرها .

إذا سمحت لي باستغلال رسالتك باعتبارها حجة للنقاش العلمي، فما هي إذن مقومات القومية من وجهة النظر العلمية ؟

أرى من وجهة نظري أن تلك العناصر والمقومات تتلخص في الآتي : فكر وضمير عام .

فيما يتعلق بفكر الأمة فهو يتمثل في اللغة وبالنسبة للضمير فهو يتجسد في التاريخ . وبالنسبة للقومية العربية، فأنتم تعلمون أن شعوب تلك المنطقة، فضلا عن الاعتبارات الأخلاقية والمادية، فهم متحدون في سعيهم الذي لا يُقهر نحو إنشاء امة واحدة يجمعها فكر وضمير واحد.

إنني متأكد كذلك من أنك لم تنسي ما سبق وأن كررته في تصريحاتي بشأن أن القومية العربية من وجهة نظري تعني التضامن ولا تمثل أية صيغة دستورية . ومن الممكن أن يتخذ الشعب تلك الصيغة الدستورية حسب إرادته، وهذه الصيغة ستحوي التضامن في جوهرها .

أذكرك جيدا بأن استعدادنا للتعاون مع الثورة العراقية يُعد فخرا بالنسبة لنا، وقد ولد هذا التعاون منذ قديم الزمان . أعتقد أنك تعلم، سيادة رئيس الوزراء، أن عددا من قادة ثورة العراق بما فيهم العقيد عبد الكريم قاسم، رئيس الحكومة العراقية، كانوا يتصلون بنا قبل الثورة، وتوجهوا لدينا لطلب المساعدة في وضع خطة للثورة . وسألونا كذلك عن الضمانات التي من الممكن أن نقدمها لهم في حالة فشل الثورة . والنصيحة التي قدمناها لهم لا تشبه نصيحة من يرغب في التدخل في شئون الآخرين أو فرض الوصاية عليهم. وكانت نصيحتنا لهم بأن يحافظوا على سرية كل شيء ولا يتفوهوا بأي كلام حتى لو كان معنا، ويبحثوا عن الدعم والمساندة لدى شعبهم . ونصحناهم كذلك بان من يضع خطة الثورة هم هؤلاء الأفراد الذين سيقومون بها . قلتُ لهم إن ثورة العراق لابد وأن تكون عراقية بحتة سواء كان من حيث التفكير أو التنفيذ .

ولم يتغير رأينا حتى بعد نجاح الثورة بالعراق وبعد تلك الجهود التي بذلناها لإنجاحها . وظلت نصيحتنا للعراقيين نصيحة أخوية صادقة . وكان السيد كامل قادرشي آخر الشخصيات السياسية العراقية التي استمعت لهذه النصيحة، التي تتلخص في عدم إضاعتهم للوقت الآن في التفكير في الشكل

الدستوري للوحدة او الاتحاد . وقلنا لهم إنه سيكون من الأفضل بالنسبة لهم وكل الأمة العربية إذا ما أحرزوا نجاحا للثورة داخل العراق وإخضاع مصالحها لصالح الأغلبية والأفضل كذلك إحياء التضامن العربي في صورة اتفاقيات اقتصادية، ثقافية، عسكرية بحيث تكون قادرة على تنسيق نشاط شعبي البلدين وان يعود النفع الأكبر من ذلك على الأمة العربية بأكملها .

ولكن للأسف، سيادة رئيس الوزراء، فإن الحزب الشيوعي بالعراق، الذي خرج أعضاؤه من التنظيم السري بعد أن غادروه في عهد نوري سعيد، قرر الحزب استغلال ثورة العراق وتوجيهها على النحو الذي يريدوه .حيث استغل الحزب ذلك الخلاف الشخصي الذي وقع بين اللواء عبد الكريم قاسم ونائبه العقيد عبد السلام عارف لخلق حالة من التوتر قادرة على تحقيق أهدافهم، وكان من المفترض وان يقوم العقيد عبد الكريم قاسم، قائد الثورة العراقية، بمعالجة وحسم ذلك الخلاف، هكذا كان سيجد الأهداف المناسبة للثورة .

غير أن الحزب الشيوعي بالعراق بدأ يزرع بذور الكراهية ليس فقط بين عبد الكريم و عبد السلام عارف، بل واخذ يعمل على تفاقم العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية العراق، مثيرًا مشكلة مصطنعة حول مسألة ما هو الأفضل : الوحدة أم كيان الاتحاد . وقد سارعت هذه المعضلة في توجيه هجمات علنية على فكرة الوحدة وإخفاء حقيقة الهدف من كل ذلك وهو الحرص على ممارسة الضغط على الوضع في سوريا . وقد ظهر ذلك في صورة تعاون بناء بين الأحزاب الشيوعية بالعراق وسوريا، ثم تشكل هذا التعاون في صورة نشاط علني سواء كان بالقطر السوري التابع للجمهورية العربية المتحدة او بجمهورية العراق .

ظهرت في القطر السوري حركة مريبة تهدف إلى نسف وتقويض الاستقرار، وتمثل أحد نماذج مثل هذا النشاط في تلك الهجمات التي وجهها الحزب الشيوعي السوري ضد قانون الإصلاح الزراعي الذي يهدف إلى تمليك الأراضي لأكبر عدد من الفلاحين السوريين والقضاء على النظام الإقطاعي

. فقد كان ينبغي إزاحة وإبعاد نشاط الحزب ضد الوحدة، ذلك النشاط الذي كان واضحا منذ البداية انه غير موجه ضد الإمبريالية. من المرجح أن تتفق معي، سيادة رئيس الوزراء، في أن تشكيل الجمهورية العربية المتحدة كان بمثابة ذروة الصراع ضد القوى الإمبريالية من خلال إنشاء حصن لحركة تحرير شاملة بالعالم العربي.

لقد وصل الحال بالحزب الشيوعي السوري إلى أن يقوم قائده بالإدلاء بتصريحات يتم نشرها في الصحف التابعة للقوى الامبريالية وإذاعتها في المحطات الإذاعية لعدد من دول الكتلة الاشتراكية، وتمثل تلك التصريحات هجمات قوية على الوحدة بهدف تقويض ونسف أركانها.

عندما كان السيد نور الدين محي الدينوف في زيارة للقاهرة، سمحت لنفسي بالحديث معه صراحة حول هذه المسألة. وسألته هل يعكس نشاط الحزب الشيوعي في سوريا والعراق وجهة نظر الاتحاد السوفيتي، وجاءت إجابته بالنفي.

إنك لم تنس بالطبع مناقشاتنا التي كانت تدور حول نشاط الأحزاب الشيوعية المحلية العاملة في منطقتنا وذلك أثناء لقائنا الأول في موسكو في أبريل ١٩٥٨.

تتذكر، سيادة رئيس الوزراء، أنه في إحدى مباحثاتنا، أشرت إلى نشاط الأحزاب الشيوعية في الجمهورية العربية المتحدة، والتي نراها قد خرجت عن نطاق الخط الوطني لتخدم مصالح أعداء الوطن من وجهة نظرنا. كنتُ اخشي كذلك من أن يتم تفسير الإجراءات التي نتخذها ضد هذه الأحزاب على أنها إجراءات موجهة ضد الاتحاد السوفيتي. ولهذا فقد رأيتُ انه احترامًا مشاعرك، فلابد من طرح هذا الموضوع في مباحثاتي معك بموسكو وقلتُ لك آنذاك: « أرجو منك ألا تفسر تلك الإجراءات التي نتخذها ضد الأحزاب الشيوعية في بلادنا على إنها خطوة عدائية إزاء الاتحاد السوفيتي». قلتُ لك كذلك أن الكثير

منهم [٥٩] منحدرين من أصولإقطاعية وبورجوازية وبالتالي فليس كافيا أن يرفعوا فوق رؤوسهم شعارات لكي يصبحوا شيوعيين. أضفت انه يوجد لدينا بالقطر المصري على سبيل المثال حوالي ثلاثة أحزاب شيوعية ( كما يصفون أنفسهم ) وكل حزب يتهم الآخر في الصحف التي يصدروها بالتهرب والتملص بل ووصل الحال بهم إلى تراشق وتبادل الاتهامات بينهم بالخيانة. لا نستطيع أن نفرق من منهم يُعتبر شيوعي حقيقي ومن ليس شيوعيا. وفي النهاية فإننا نعرف كل ما يقولونه عن بعض.

أتذكر جيدا كيف كانت آنذاك نظرتك نحوي وقمت بهز رأسك. رأيتُ أنه من غير اللائق مواصلة مناقشة هذا الموضوع معك، وقمتُ بتلخيص موقفي الحقيقي لك بحيث لا تفاجأ عندما نضطر لاتخاذ إجراءات ضدهم وضد نشاطهم المعادي لمصالح الشعب، ومن الممكن أن يطرأ أي تغيير لتلك الإجراءات غير المطابقة للواقع، خاصة إذا ما وضعنا في الاعتبار أن الأوساط الإمبريالية وصحافتها يحاولون إلقاء الظل على عملنا، الأمر الذي من الممكن أن يُفسر على أنه فتور في العلاقات بيننا.

اندهشت كذلك، سيادة رئيس الوزراء، إزاء ما ورد في خطابك المؤرخ للثاني عشر من أبريل بعد مناقشة إحدى أحاديثي التي أعلنت فيها أن الشيوعيين هم عملاء، يتلقون التعليمات من الخارج، وبعد العودة إلى مباحثاتنا في موسكو والتذكير بالفكرة التي قيلت لي حول وقوع انشقاق في صفوف الشيوعيين بالقطر المصري وانقسامهم إلى ثلاثة أحزاب، جاء تعليقكم على النحو التالي: «إذا ما كانوا يتلقون التعليمات من الخارج، لكانت النصيحة الأولى لهم هو دعم وتعزيز وحدة صفهم». المثير للدهشة أيضا أنه سرعان ما توطد نشاط الحزب الشيوعي داخل الجمهورية العربية المتحدة واتحد الأحزاب الثلاثة ونسوا الخلافات المشتعلة بينهم ؛ ولهذا فقد أجبرني هذا الوضع للإشارة في الخطبة التي ألقيتها يوم ٢٣ ديسمبر يوم انسحاب القوات الأجنبية من أراضي مدينة

---

(٥٩) الشيوعيون ( ملحوظة أوردها مترجم الخطاب )

بورسعيد، أشير إلى النشاط المعادي للقومية الذي ينتهجه التنظيم الشيوعي (هؤلاء الذي يحسبون أنفسهم على الشيوعيين ) وبالتالي فإن حديثي كان يتعلق بتلك التنظيمات السرية العاملة في الجمهورية العربية المتحدة ولم تتجاوز كلماتي عشرة اسطر. وأقصد من حديثي إنهم يعتبرون خطرا واضحا ولن أسمح بظهور نشاط داخل الجمهورية العربية المتحدة يخدم مصالح القوى الإمبريالية.

وقد تطرقت في كلمتي عن التنظيمات الشيوعية داخل الجمهورية العربية المتحدة ولم أتفوه بكلمة واحدة عن النشاط الشيوعي بالعراق، الذي للأسف لم يكن يهدف لمحاربة الإمبريالية، بل على النقيض من ذلك، فقد مال الشيوعيون للتصالح مع القوة الإمبريالية لتسخير قوتهم الكاملة في الصراع ضد الجمهورية العربية المتحدة وضد أفكار القومية العربية. وإذا ما اطلعت على ما كتبته الصحف العراقية في ذلك الوقت، لرأيت أن الحديث حول الجمهورية العربية المتحدة على وجه الخصوص، وليس عن إنجلترا التي كانت تحتل العراق قبل الثورة وكانت تزرع عرائسها المتحركة دخل حكومة العراق.

لقد كان هناك تصالح كامل مع القوى الإمبريالية والحرب ضد القوى الوطنية على أشدها في تلك البقعة من العالم. هذه حقيقة ولا يمكن نفيها. ولا يمكن تفنيدها بتلك العبارات الفارغة التي تدور حول أن الشيوعيين في صراع ضد القوى الامبريالية. فالشيوعيين مثل باقي الناس من الممكن أن يقعوا في أخطاء ثم يتهربوا منها.

أدركنا من خلال تقرير سفيرنا في موسكو حول حديثه مع السيد نور الدين محي الدينوف، أن كلماتي عن النشاط الشيوعي داخل الجمهورية العربية المتحدة، التي جاءت في خطابي للشعب يوم ٢٣ ديسمبر، لم يتم تأويلها بشكل صحيح. أعطيت التعليمات المناسبة لسفيرنا وكل أجهزة الدعاية والإعلام بالجمهورية العربية المتحدة لتوضيح وجهة نظرنا حول هذه المسألة تجنبا لسوء التفاهم.

وهكذا فقد بذلنا قصارى جهدنا لكي نوضح أن أحاديثي لم تكن موجهة ضد الشيوعية كفكر لأن هذا ليس من شأننا ونفضل توضيح فكرنا الخاص.

وبذلنا مجهودا ليس بالقليل لتوضيح أن أحاديثنا وتصريحاتنا تتعلق بهؤلاء الذين يطلقون على أنفسهم شيوعيين في دولتنا ونشاطهم يسبب ضررا بوحدة الشعب. وأن تصريحاتنا لا تخرج عن هذا الإطار ولا تتضمن أية هجمات على الشيوعيين الآخرين. بالإضافة إلى ذلك، فقد رأينا أنه يوجد من بين الشيوعيين شخصيات جيدة جديرة بالاحترام. وأنت، سيادة رئيس الوزراء، في مقدمة هذه الشخصيات. ولكن للأسف، فقد اتضح أن تلك الجهود لم تكن كافية لتوضيح وجهة نظرنا لأننا سرعان ما اقتنعنا انك طرحت هذا الموضوع في تقريرك المقدم للمؤتمر الحادي والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي.

حرصنا من جانبنا على عدم المساس بما جاء في ذلك التقرير تجنبا لتفاقم وتعقيد سوء الفهم، وذلك على الرغم من أن ذلك التقرير قد تضمن عبارات غير مستحسنة، وترحيب بعدد من الشيوعيين الفارين والهاربين من بلدنا، وهجمات أحدهم غير اللائقة على نائب ورئيس الجمهورية العربية المتحدة. قام احد الصحفيين بنشر مقالة علق فيها بمنتهى الاحترام على كلمتك التي ألقيتها في هذا المؤتمر ووقف بشكل مفصل وموضوعي على ما جاء فيه وها هي الصحافة الرسمية والإذاعة في دولتكم تتهم هذا الصحفي بأنه عميل أمريكي. وبالرغم من ذلك فلم نحرص على تفاقم وتعقيد ذلك الخلاف، الذي ستستفيد منه القوى الإمبريالية.

كان هذا أحد البواعث التي دفعتني لكي أرسل لك رسالة عن طريق السيد ديمتري كيسيلييف، أوضح فيها أن أسباب صداقة الشعوب العربية لكم لا تنحصر في نشاط الأحزاب الشيوعية وان هذه الصداقة ستظل قائمة بصرف النظر عن تلك الأحزاب. أرى من وجهة نظري أنه لم يكن صحيحاً موقفك من مساندة الأقلية داخل بلادنا، تلك الأقلية التي لا تمثل الشعب بأكمله، فأنت بذلك تغامر بفقدان احترام الغالبية العظمي من الشعب لك.

وهـذا هو مـا دفعني أيضا بعد تسـلمي لرسـالتك من القائـم بأعمال الاتحاد السـوفيتي بالقاهـرة في ٢٠ فبرايـر ١٩٥٩، تلك الرسـالة التي جاء فيهـا ردك على الملاحظـات، الـتي نقلها لكم سـفيركم بالقاهـرة، لاسـتخدام مقتطفات من رسـالتك في كلمتي التي ألقيتها يوم ٢١ فبراير لكي أضع نهاية لذلك الخلاف الذي نشـأ بيننا، والذي تسـعى القوى الامبريالية لإشـعاله وتضخيمه بشـتى الطرق، وللأسف فإن الأحزاب الشيوعية في بلادنا تساعدهم في ذلك .

وكما تعلم فقد قيل في ذلك الوقت إنكم تقفون بجانبنا ضد حلف بغداد وعندما انهار الحلف، لم يعد لديكم الحرص الكافي للوقوف بجانبنا .

وقيـل كذلك أنكم تسـتغلون القومية العربية لأهـداف تكتيكية في «الحرب الباردة» وبعد تحقيق أهدافكم، قمتم بتغيير موقفكم .

وقيـل كذلك أنكم وافقتم على فكرة الحياد عندما كان هناك صراع دائـر بـين الإمبريالية والقوميـة العربية، وبعـد اندلاع ثورة العـراق، تكبدت الإمبريالية ضربة مميتة وبدأ التنظيم الشـيوعي يسـتعيد نشـاطه من جديد بالمنطقة، أصبحتم تتخلون عن فكرة الحياد في هذه المنطقة .

رفضنـا تصديق كل هـذه التأكيدات علـى الرغم من الأدلـة التي كانت موجـودة بالصحافـة العراقية ووسـائل الدعاية الخاصة بالحزب الشـيوعي في القطر السـوري . وقد تم نشـر وإعلان المواد المقتبسـة من هذه المصـادر، حيث تم إعلانهـا عدة مرات في المحطات الإذاعية والعديد من الصحف بدول المعسـكر الاشتراكي .

ولهذا سـيادة رئيس الـوزراء، فقد اسـتخدمت بعض مقتطفـات من تقريرك أثناء الكلمة التي ألقيتها في الحادي والعشرين من فبراير، تلك المقتطفات التي انطلقت منها شرارة الترحيب وحسن النوايا من جانبكم . كما أوضحت لك من قبل، فإنني حرصت على سد تلك الثغرة التي حفرت لنفسها مكانا في العلاقات القائمـة بيننا، وحرصت على حرمـان الإمبريالية من فرصة الأمل في الحلم بهذا

النصر . وبعد تلك الكلمة التي ألقيتها، سرعان ما توجهت إلى القطر السوري، وألقيت هناك أكثر من عشرين خطاب، تحدثت فيهم بنغمة صديقة عن الاتحاد السوفيتي وحاولت قدر الإمكان عدم الحديث كثيرا عن التنظيمات الشيوعية لإتاحة الفرصة للطرفين لاستيعاب وإدراك أهمية بذل الجهود لسد تلك الثغرة وإعادة بناء الثقة فيما بيننا . وفي الوقت نفسه، فقد حاولنا قدر المستطاع إزالة تلك الخلافات التي تفاقمت فيما بيننا واللواء عبد الكريم قاسم ولم يكن لها أية أسباب ولا جذور. ولهذا فقد اقترحنا عدة مرات إجراء لقاء مع اللواء قاسم في المكان الذي يروق له من أجل القضاء على أسباب ذلك التوتر ولكي نؤكد له أننا لا نريد أن نفرض عليه شيء غير مرغوب بالنسبة له ولكي نبرهن له على عدم وجود أية أهداف أخرى لدينا سوى التضامن العربي وأننا على استعداد لكي نسير مع كل دولة عربية في هذا الطريق . وهناك نموذج حي شاهد على ذلك يتمثل في علاقاتنا مع اليمن التي انضمت إلينا في صورة اتحاد .

ولكن للأسف الشديد لم يتم هذا اللقاء، وأخذت الصحافة العراقية، التي تُعد البوق الخاص بالحزب الشيوعي، تشوه الأهداف التي كانت مرجوة من هذا اللقاء، بل ووصل بهم الحال للزعم بأننا نريد العودة إلى ذلك العصر، عندما كانت تتحد فيها مصائر الشعوب من خلال لقاءات بين الحكام والقادة، وهذا لم يرد في خاطرنا مطلقاً.

حاولنا من خلال الخطب والأحاديث المعلنة والتي وصلت إلى الرأي العام بكل الدول العربية أن نناشد وندعو اللواء عبد الكريم قاسم لعدم إعلاء صوت الفتنة وعدم السماح للوقيعة فيما بيننا . وتأكيداً لذلك فقد ألقيت عدة خطابات في مدن ألمانيا، القاهرة ودمشق .

وبعد ذلك اندلعت أحداث الموصل[٦٠]، والتي تدل تفاصيلها على أنها نتيجة لمؤامرة ما . حيث جاءت تلك الأحداث نتيجة تحرك مجموعة من الضباط الشباب

(٦٠) وقع تمرد ضد الحكومة على يد قوات حامية الموصل في مارس ١٩٥٩ بدعم ن الإقطاعيين وشيوخ القبائل .

المتحمسين . وكانت المفاجأة بالنسبة لنا عندما قام الحزب الشيوعي بالعراق بإجراء تحقيق حول أحداث الموصل ودوافعها وسارعوا بتوجيه الاتهام للجمهورية العربية المتحدة،مما أدى إلى تفاقم العلاقات بيننا والعراق، الأمر الذي جاء في صالح القوى الإمبريالية ولسوء الحظ، فقد سارت الحكومة العراقية وكذلك أجهزتها الرسمية بما فيها راديو بغداد، والمنبر العسكري لبغداد، ساروا وراء حجة أنصار ذلك التيار وهكذا أصبحنا نواجه أزمة في غاية الخطورة .

وفي الوقت نفسه، لابد وأن أعلن لك صراحة أن الكلمة التي ألقيتها سيادتك تشريفاً لاستقبال الوفد العراقي في ١٦ مارس ١٩٥٩ لم تتعارض فقط مع الحقيقة، بل وتعارضت مع كل ما جاء على لسانك قبل الثورة العراقية . إذ لم يكن جائزاً أن نلتزم الصمت أمام ذلك الخطاب نظراً لما تضمنه من اتهامات باطلة ضدنا، ولاشك أن هذا الحديث كان نقطة تحول في العلاقات القائمة بيننا . ولابد وأن أصارحك القول كذلك بأن هذا الخطاب جعل آفاق المستقبل التي فتحها أمامنا تبدو معتمة وكئيبة . حيث تضمنت تلك الآفاق إمكانية ذلك التغيير الشامل في موقفكم . فقبيل ثورة العراق لم يكن الأحزاب الشيوعية تلعب أي دور في توازن القوى، فقد كنتم تساندون القوى الوطنية أما الآن عندما ذهبت الأحزاب الشيوعية لممارسة نشاطها بشكل علني وصريح، فقد آثرتم التضامن معهم، على الرغم من أنهم يمثلون قطاع صغير من الشعب . وقد تضمنت تلك الآفاق أيضا إمكانية مساندتكم للأحزاب الشيوعية، وقد أدركت شعوبنا ذلك الأمر جيداً . وفي الوقت نفسه، فقد سمعت شعوبنا ورأت بعينها ذلك العمل التخريبي لهؤلاء الأفراد . وعلى مدار عدة شهور من اندلاع ثورة العراق كنا نتعامل بصبر إزاء ذلك الأمر، بل والأكثر من ذلك إننا لم نرغب في كشف وفضح عملهم التخريبي هذا يوم ١٢ مارس إلى أن قمتم من جانبكم بعد أربعة أيام من الثورة بالتخلي عن مساعدتنا . ولم يقتصر الأمر على التخلي عن المساعدة فحسب، بل ووصل الأمر إلى تكييل وتوجيه الاتهام إلى الشخصيات الوطنية الفدائية بأنهم يعتبرون بوقا للقوى الإمبريالية، لقد اقتربتم من المساس بالقومية العربية وتدخلتم في شئوننا الداخلية .

هذا يعني من حيث المنطق أنكم موافقون وراضون عن هجومهم علينا، وبعد قيامنا بالرد عليهم بعد صبر طويل، سرعان ما وقفتم لمساندتهم والدفاع عنهم.

أوضحت تلك الآفاق كذلك أنكم تنظرون إلى الأفكار التقدمية على أنها حكر للشيوعيين وحدهم، ولم يخطر ببالكم أن تلك الأفكار من الممكن أن تجد لنفسها ساحة واسعة لازدهار المجتمع الذي لا يعترف بالأفكار الشيوعية. من المرجح أن تتفق معي إذا ما ابتعدنا عن المواقف الخيالية في الفكر الأيدلوجي.

وفي الحقيقة فإنه من الغريب جدا أن يكرس الشيوعيون بالقطر السوري جزءا صغيرا من نشاطهم لمقاومة الإصلاح الزراعي، ولا أعتقد أن هذا يعد من الأفكار التقدمية. وكذلك لا يمكنني أن أتصور موقف الصمت إزاء الامبريالية، التي يمارسها الحزب الشيوعي بالعراق في وضح النهار أمام الجميع، لا أتصورأن يكون ذلك فكراً تقدمياً. وإذا ما كنا نرى أن كل سلوك وممارسات الشيوعيين في بلادنا مقنعة ومبررة، لاعتبرنا كذلك أن دفاعكم عنهم أمرا مبررا في الوقت الذي تعلمون فيه مكانتكم الكبيرة في قلوبنا. إن تبريركم لتصرفاتهم حتما أدى إلى أن شعبنا أخذ يعيد النظر في العلاقة التي تجمعنا والاتحاد السوفيتي، وهذا بالطبع لا يمكن أن يجيء لصالح تحسين العلاقات المتبادلة فيما بيننا.

كما جاء في خطابكم الذي يعود ليوم ١٦مارس، مثلما جاء في خطابكم الشخصي الصادر لي في ١٢ مارس، موقفكم الدفاعي الذي تفسرون فيه النظرية الشيوعية. وإنني في حل من الدخول فيجدال حول ما جاء علي لسانكم، لأن احترام وجهات نظر الآخرين يُعد سمة أساسية تميز مجتمعنا. ولكن اسمح لي أن أؤكد لك أننا نحاول تلبية المتطلبات الرئيسية للشعب على الرغم من اختلاف طريقنا عن طريقكم.

يبدو وأنك تدرك مثلي تماماً أن هذا الأمر يتطلب الكثير من العمل، الجهد والتفكير، الذي لا يسمح لنا بالانشغال في النقاشات والجدالات غير المجدية، ولكنك سيادة رئيس الوزراء، تدرك جيدا أن ثورة أكتوبر، التي مر عليها أربعون عام، لم تحقق المطالب المرجوة لعامة الشعب. لقد بدأنا تجربتنا منذ أقل من سبعة سنوات، سائرين في طريق الاشتراكية الديمقراطية المتعاونة. وتعلم أنه في غضون تلك السنوات السبع هذه كان هناك وقت طويل قد مضى في محاربة المؤامرات والتصدي لعدوان القوى الإمبريالية وعلى الرغم من ذلك، يمكن اعتبار أن ما قمنا به لأجل الفلاحين والعمال يُعد بداية للبناء الايجابي وخاصة بعد أن نجحنا في القضاء على قهر وعنف الإقطاعيين بالكامل وهيمنة أصحاب رأس المال في حكم البلاد في ذلك الوقت.

وإذا ما قمنا في هذه الفترة بحظر نشاط الحزب بهدف الحفاظ على وحدة الشعب وتجنيده للمحاربة في إطار الائتلاف الوطني، فمن المفترض وأن تدركوا ذلك مع الوضع في الاعتبار أن الاتحاد السوفيتي هو الآخر قد مرّ بنفس تلك المرحة. ولا داعي للقول سيادة رئيس الوزراء، أن عدم وجود حزب في الاتحاد السوفيتي من الممكن أن يُبرر على أن مجتمعكم قد قضى على الطبقات. تتذكر بالطبع أنه بعد اندلاع ثورة أكتوبر، تعرضت الثورة السوفيتية لأعنف أنواع المخاطر سواء كانت من الخارج أو الداخل. ولا يمكن القول بأن القضاء على الطبقات هو عمل يستغرق يومًا واحداً.

والمثير للدهشة والحيرة هنا هي تلك الحقيقة التي تفيد بأن الحزب الشيوعي بالعراق (ودعمكم له الذي يُعد أحد أسباب تصاعد الأزمة في العلاقات بيننا، واستمرار هذا الحزب ينتقد بشدة الوضع الداخلي في بلادنا في الوقت الذي لم نحظر فيه نشاط الحزب)، لم يجد الحزب الشيوعي أي موضع للنقد في الخطاب الرسمي لرئيس الحكومة العراقية، الذي نفى فيه فكرة الحزب وهاجمه وطلب منا أن نفعل ذلك لفترة انتقالية محددة إلى أن تصبح الأمة كلها «حزب تابع للّه» على حسب وصفه.

سبق وأن أشرت سيادة رئيس الوزراء، بمزيد من الإطراء على الجهود التي بذلناها في مجال تطوير وتنمية الإنتاج والنهوض بالمجال الثقافي بهدف إرساء قواعد المجتمع المتحرر. ولهذا فقد أصابتنا الدهشة عندما اكتشفنا في خطابكم تلك العبارة التي تفيد بأننا واجهنا العديد من الصعوبات وتخيلنا أننا نستطيع التغلب عليها من خلال شن حملة صليبية ضد الشيوعية.

وأؤكد لك سيادة رئيس الوزراء، أننا لا ننظر إلى تلك الصعوبات الكثيرة فحسب، بل والى العمل الضخم الذي نضعه نصب أعيننا. وتظهر الصعوبات الحقيقية عندما يضل الشخص الطريق ويبدأ يتخبط، ولكن عندما يجد طريقه فسرعان ما تختفي أية صعوبات.

و نحن ندرك أن طريقنا صعب وشاق ولكنه الطريق المنشود للسعي إلى النور، وأحاديثنا المعادية للشيوعيين ليست وسيلة لتقليص هذا الطريق (و نحن نتفق معكم في ذلك) وإنما جاءت تصريحاتنا هذه نتيجة محاولة الشيوعيين بوضع العراقيل في هذا الطريق.

لقد شعرت بالطبع سيادة رئيس الوزراء، أن استياءكم من تصريحاتنا المعادية للشيوعيين جاء نتيجة للحرص على الدفاع عن ذلك الفكر الذي ينتمون إليه وحمايته من الخسارة التي من الممكن أن يتكبدها ذلك الفكر من جراء تصريحاتنا المعادية له.

إنني لا أعلم كيف استطعنا فضح نشاطهم بدون أن نطلق عليهم ذلك المسمى الذي يصفون به أنفسهم. أؤكد لك أنه على الرغم من أنني لا أرى أي داع للتأكيدات، إلا أنني أحترم وأقدر شعورك ليس فقط لاحترامي لمشاعر صديق، بل لاحترامي لمشاعر شخص مؤمن بالفكر الشيوعي، ولكن لا أعلم كيف يمكن الحديث عن نشاط الشيوعيين دون وصفهم بالشيوعيين ؟!

والأمر الذي ساعد في تفاقم وتعقيد القضية تمثل في تصريحاتكم وكذلك التصريحات الصادرة من الصحافة والإذاعة لديكم. وفجأة وجدنا

أنفسنا أمام حملة شرسة ضدنا منظمة على نطاق واسع من قبل صحيفة « ديلي ووركر» الصادرة في لندن وصولا إلى صحيفة « الراية الحمراء « الصادرة في الصين .

وبعد ذلك حاولنا بشتى الطرق تضييق جبهة ذلك الخلاف، وكما لاحظت، لم يصدر من جانبنا اي رد إزاء ما وجهته إلينا الصين الشعبية . أما فيما يتعلق بتلك الجبهة الضيقة التي حاولنا التصدي لهجماتها الموجهة ضدنا، فإن موقفنا هذا يعتبر موقف دفاعي بحت أمام وجه تحركات هجومية، لم تقتصر فقط على الحملات الإعلامية الشرسة، بل تطور الأمر ليصل إلى حد العدوان الحقيقي . أعتقد أنك توافقني الرأي في أن التحركات الرامية إلى نسف وتقويض حلقة الوصل بين مصر وسوريا وتدمير الركيزة الأساسية التي نهضت عليها الجمهورية العربية المتحدة، يُعد عدوانا حقيقيا ضد بلادنا .

وهكذا، سيادة رئيس الوزراء، يمكن وصف الوضع المتفاقم باختصار على النحو التالي :-

١. كنا مضطرين للدفاع عن بلادنا لمواجهة ذلك النشاط النابع من التنظيمات الشيوعية العاملة داخل حدود الجمهورية العربية المتحدة، وكان هذا هو الهدف من كلمتي التي ألقيتها يوم ٢٣ ديسمبر .
٢. بعد ذلك أصبحنا مضطرين للدفاع عن أنفسنا أمامكم بسبب مساندتكم ودعمكم الشخصي لهذا الحزب الشيوعي، واتضح ذلك جليا من خلال الكلمة التي ألقيتها في المؤتمر الحادي والعشرين للحزب الشيوعي السوفييتي، على الرغم من أنه كان واضحا أن دفاعنا الذاتي في هذه الحالة اقتصر فقط على مقالة قام بنشرها أحد صحفيينا .
٣. ثم أصبحنا مضطرين، بعد الإخفاقات التي تكبدناها طويلا، لحماية أنفسنا من الهجمات الموجهة من الحزب الشيوعي بالعراق ومن تلك الاتهامات التي يكيلها ضدنا، ومن محاولاته الواضحة لتعكير صفو العلاقات بيننا والشعب العراقي .

٤. وجدنا أنفسنا مضطرين بعد ذلك لحماية أنفسنا من دعمكم الواضح لهذا الحزب ونشاطه، وقد بدا ذلك واضحا من حديثكم الذي يعود ليوم ١٦ مارس .

٥. ثم وجدنا أنفسنا بعد ذلك مضطرين لحماية أنفسنا من تلك الحملة الشعواء التي شنتها ضدنا الأحزاب الشيوعية ومن تلك الحملة وذلك التنظيم القائم حتى يومنا الحالي في العالم أجمع . وهكذا فقد أصبحنا داخل دائرة مفرغة، لا نستطيع الصمت أمام التطاول على مبادئنا ومعتقداتنا وعلى سيادة أراضينا .

لا يمكن أن نلتزم الصمت إزاء كل تلك التطاولات من مواطني بلادنا ولا يمكن أن نصمت عندما يجد هؤلاء المواطنين القوة في الخارج الذي يقدم لهم الدعم والسند . لن يصبح الوضع أقل حدة، سيادة رئيس الوزراء، إذا ما أعربنا عن أسفنا إزاء استسلامكم وقناعتكم بتلك الحجج والبراهين التي يقدمها هؤلاء الأفراد، الأمر الذي وضعكم في موقف صعب للغاية أمام الرأي العام العربي والرأي العام في القارتين الأفريقية والآسيوية . ومما لاشك فيه أن هذه الحجج والأدلة لا تستند إلى أي أساس من الصحة وتهدف فقط إلى تضليل الناس .

ولسوء الحظ، أن القضاء على جزء كبير من تلك الخسارة التي تكبدناها سيتم من خلال بذل مجهودات كبيرة .

لابد من الإشارة إلى أن تصريحاتنا المعادية للشيوعيين لا تُعتبر تصريحات معادية لمعتقدات محددة بعينها، بل هي تصريحات لمواجهة تلك الحملة الشعواء الموجهة ضدنا .

اتضح كذلك أننا اضطررنا أن نكون في موقف مهاجم نتيجة لتلك المحاولات التي اتخذناها للدفاع عن أنفسنا .

يتضح كذلك أنكم تقومون بتقديم التصريحات المعادية للشيوعيين على أنها هجوم عليكم ويبدو أنكم ستضطرون لخوض معركة . أؤكد لك أننا لا نرغب في ذلك مطلقا ولا نسعى إليه .

لقد عارضنا نوري سعيد الذي كان مسلمًا، وعارضنا الأسرة المالكة بالعراق، التي ينحدر نسلها من النبي المسلم. نحن نعارض السياسة غير الصحيحة التي ينتهجها بعض الأفراد ولا نعترض على المعتقدات التي يؤمنون بها، وبالتالي فإن وضعنا في هذا الصراع معهم كان أصعب من وضعنا في الصراع معكم، لأن الديانة التي يعتنقوها هي نفس الديانة التي نفخر باعتناقها نحن. وهنا نبدو أننا ندور في حلقة مفرغة.

أؤكد لك من عميق قلبي أنني آمل أن نخرج من تلك الدائرة المفرغة ونصل إلى تحقيق الاستقرار في العلاقات القائمة بين دولتينا. وهي علاقات تُعد موضعا للفخر بالنسبة لنا.

أعتقد أنه لا داعي لكي أحصي لك كل الأدلة والبراهين التي تؤكد على مدى الصدق والإخلاص الذي تشهده علاقاتنا، وهي أدلة واضحة جدا.

نحن نؤمن بالتعايش السلمي ونؤمن بالصداقة بين الشعوب ونرفض الحرب لأنها تتعارض مع مبادئنا سواء كانت حربا «ساخنة» أو حربا «باردة».

وكما تعلم فإننا لا نمتلك السلاح لأجل «الحرب الساخنة» وليس لدينا فائض من الوقت لإدارة «حرب باردة» لانتا نحرص على اللحاق بركب التقدم للبشرية بأكملها، ذلك الركب الذي تخلفنا عنه بسبب القوى الإمبريالية.

و نحن إذ نقدر وقوفكم بجانبنا في عام ١٩٥٥ عندما تم إقرار التعاون الوثيق فيما بيننا والذي استمر حتى تلك اللحظة التي اندلعت فيها الأحداث المؤسفة في نهاية عام ١٩٥٨ ومطلع ١٩٥٩.

تدركون جيدا أن هذا الأمر له جانبان: لقد تفضلت، سيادة رئيس الوزراء، باستخدام أحد الأمثلة الشعبية الروسية في كلمتك، فلتسمح لي أن أستخدم مثلا عربيا شهيرا يقول: «يد لوحدها لا تسقف» ولطالما أننا نشعر أن موقفنا مخلص ونزيه، فإننا نحرص على صداقتكم والحفاظ عليها. لا نريد أن تظل أيدينا، التي مددناها لكم، معلقة في الهواء طويلا.

آمل أن يعم ويسود الهدوء علاقاتنا، ذلك الهدوء الذي يسمح لكلا الطرفين ببذل أقصى الجهود في إطار التفاعل النشط والبناء باسم التقدم والسلام.

وللتفضل سيادة رئيس الوزراء، بقبول خالص احترامي لشخصكم الكريم وأمنياتي الطيبة بالنجاح والازدهار لشعب الاتحاد السوفيتي العظيم[٦١].

**المخلص**
جمال عبد الناصر
١٢ مايو ١٩٥٩

(٦١) توجد ملحوظة في أسفل الخطاب جاء فيها : " تم ترجمة هذا العمل بواسطة مجموعة من المترجمين : سلطانوف، سيجال، شارباتوف، كوزمين، تشيرنيشوف، سيمانوفسكي ".

# لقاء خروتشوف، رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي مع صلاح سالم، رئيس تحرير صحيفة «الجمهورية»[٦٢]

(تم نشر هذا اللقاء في صحيفة « الجمهورية «الصادرة في ١٠ نوفمبر ١٩٥٩)

**سؤال**: السيد رئيس الوزراء، منذ أن توليت مقاليد حكم الاتحاد السوفيتي وأنت تمارس سياسة إضعاف حجم التوتر الدولي ورفع شعار «النضال من أجل السلام». فأنت صاحب اقتراح وقف التجارب النووية، وقد حظي هذا الاقتراح بالنجاح، حيث تم وقف تلك التجارب بالفعل . وأنت كذلك صاحب اقتراح عقد اجتماع لرؤساء الحكومات لمناقشة القضايا الدولية وقد حظي هذا الاقتراح أيضا بالنجاح حيث سيتم عقد هذا الاجتماع قريبا . وكنت أيضا صاحب اقتراح نزع السلاح الشامل والكامل لدى كل دول العالم .

سيادة رئيس الوزراء، هل أنت متأكد من أن اقتراحكم الأخير سيحظى بالنجاح وسيتم تفعيله كما كان الحال مع اقتراحاتكم السابقة؟ وهل أنت متأكد من أن الدول الإمبريالية التي تعيش على حساب سرقة ونهب الدول التي تستعمرها، ستقبل مثل هذا المشروع الذي يعرقل مسيرتها عن سرقة ونهب ثروات ومقدرات تلك الشعوب المستعمرة ؟

**ـ ج ـ**: إذا لم تدافع الشعوب كلها عن هذا الاقتراح ... فإن الحكومات الإمبريالية لن توافق على مطلبي بنزع السلاح ولكني أعتقد أنهم في النهاية سيوافقون عليه تحت ضغط الشعوب والرأي العام العالمي ..... ولكن متى سيحدث ذلك، هو أمر لا أعلمه ...

---

(٦٢) ترجمة : إ.ايفسييف، من أرشيف السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية، مخزن رقم ٨٧، ملف رقم ٢٠، حافظة رقم ٣٠، موضوع رقم ٩، الأسطر : ٥٧-٦٨.

**سؤال**: هل تعتقد أنه من الممكن تفعيل عملية نزع السلاح الشامل بدون معالجة المشاكل والقضايا المعقدة والشائكة التي استمرت قائمة بين الدول

لوقت طويل ؟ فكيف لنا نزع السلاح إذا ما كان بيننا شعب لديه قوة عدائية مثل شعب إسرائيل ..... متى يعيش الشعب الفلسطيني بيننا الذي لا يعرف الحياة داخل جدران وطنه ؟!

**-ج-** : أرى أنه ينبغي أن يكون هناك حالة من التعاطف والأخوة بين الشعوب كافة .... وإذا ما تخلينا عن هذا المبدأ، فإن الناس ستعيش مثل الكلاب .. وإذا ما نزعنا السلاح سنضطر لمعالجة كافة المشاكل والقضايا بالطرق السلمية إذن وبدون اللجوء إلى استخدام أي سلاح ... عن طريق التفاهم المتبادل . وعلي أية حال فإنني أؤمن بأن هناك وسائل ضرورية - بعيدة عن تلك العسكرية - قادرة على معالجة أية معضلة . أذكر على سبيل المثال، كان لدينا بالاتحاد السوفيتي في البداية عدد من المعضلات الصعبة، التي ظهرت بين شعوبنا ولكننا استطعنا التغلب عليها دون استخدام السلاح والآن أصبح هناك علاقة وطيدة وراسخة بين جمهورياتنا، ينبغي الوصول لمثل هذا الوضع بين كل الشعوب .

**سؤال**: سبق وأن أعلنت في اجتماع مع القادة (هكذا كما ورد في النص)، إنك لا توافق على مناقشة القضايا التي تهم الدول غير المشاركة في ذلك الاجتماع . فهل تميل إلى وجهة النظر هذه ؟ ... هل يعني هذا انك تفضل وجهة النظر هذه لأنك تطلب في الاجتماع المقبل أن يكون هناك تمثيل لتلك الدولة، التي يتعلق بها قضايا محددة مطروحة للمناقشة ؟

**-ج-**: هذا ليس امراً حتميا بالطبع، إن طرح أية مشكلة متعلقة بدولة ما، لابد وأن يكون هناك تمثيل لهذه الدولة في منظمة الأمم المتحدة، لأن اجتماع القادة ليس مخصصا لتبادل الآراء فحسب بل ومعالجة كافة القضايا في إطار منظمة الأمم المتحدة وفي ظل حضور كافة الدول الأعضاء وممثليها . أرى أنه

من مصلحة العالم اجمع أن يتم إقرار التفاهم المتبادل بين الدول الكبرى وخاصة بيننا والولايات المتحدة الأمريكية ... أما فيما يتعلق بالقضايا الأخرى، فهي لا تشغل أهمية كبيرة بالنسبة للعالم اجمع وسيتم معالجتها فيما بعد .

**سؤال**: لقد أحرزت دولتكم نجاحا مرموقا في مجال العلوم والتكنولوجيا وفتحت الطريق لغزو الفضاء أمام البشرية كلها ..... إذا ما حدث نزع شامل للسلاح، هل انتم على استعداد لكشف أسرار الفضاء، التي توصلتم إليها، أمام كل علماء العالم ؟

**-ج-**: يجرى في الوقت الراهن عملية تبادل المعلومات، على نطاق محدود، بين علماء الدول الأخرى ... وفي حالة تفعيل عملية النزع الشامل للسلاح، سنكون على استعداد لكشف كل الأسرار ولكن ليس الآن، لأن هذه الأسرار تحمل مغزى عسكريا كبيرا . أما فيما يتعلق بمرحلة ما بعد تفعيل عملية النزع الشامل للسلاح، فإن عملية تبادل المعلومات ستعود بالنفع على كافة الشعوب .ومن الطبيعي أن يوجد في هذا الوقت في كل دولة فرق تفتيش للرقابة على تنفيذ عملية نزع السلاح .

**سؤال**: تحدثت في كلمتك التي ألقيتها منذ عدة أيام أمام لجنة مجلس السوفييت الأعلى قائلاً: « تظل منطقة الشرق الأوسط والأدنى واحدة من أكثر المناطق توترا بالكرة الأرضية، فالوضع في تلك المنطقة مفعم بشتى أنواع المخاطر . في الحقيقة لم يعد هناك الآن تدخل عسكري مباشر من قبل الدول الاستعمارية في الشئون الداخلية لدول تلك المنطقة كما كان في الماضي، غير أن الوضع هناك مازال غير طبيعي...». ترى ما هي الأسباب التي تقف وراء هذا الوضع من وجهة نظرك ؟

**-ج-** : تشهد تلك المناطق في الوقت الراهن صداما بين المصالح وليس اشتباكا بين القوى .... ولهذا فقد أشرتُ إلى أن الوضع صعب هناك .... حيث تجد شعوب قد تحررت من غلال الاستعمار وشعوب أخرى ما زالت تئن من براثن الاستعمار وهناك شعوب تأمل وترغب في التحرر ... وهناك النفط، الذي يُعد ثروة

يملكها الشعب، غير أن الدول الإمبريالية تقوم بالحصول على هذا النفط مجانا باستخدام القوة والشعوب تتصارع لأجل استغلال نفطها : إذن فهناك صراع بين الشعوب والقوى الإمبريالية وكل هذا يُعد سببا لهذا الوضع المعقد .

**سؤال**: السيد رئيس الوزراء، أزعم بأن الرسائل الشخصية التي تبادلتها مع الرئيس جمال عبد الناصر في الآونة الأخيرة أوضحت الكثير ووضعت نهاية لتلك الأزمة التي اندلعت بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتي . غير أن الأوساط الإمبريالية والصهيونية، التي حاولت بث بذور الشقاق بين الدولتين الصديقتين، مازالوا يؤكدون أن العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتي لن تصبح متينة وراسخة كما كانت من قبل ... كنا نرغب لو أن توضح لنا الوضع الحقيقي لهذه العلاقات .

**ـ ج ـ**: إن العلاقات القائمة مع الجمهورية العربية المتحدة مازالت محتفظة بنفس المستوى الذي كانت عليه في الماضي .... أريد القول بأنه عندما تعرضت مصر للعدوان الثلاثي وبدت في وضع صعب للغاية، كان تعاطفنا وتعاطف الشعوب السوفيتية بالكامل لصالح الشعب المصري الذي يناضل لأجل نيل الحرية والاستقلال .

**سؤال**: سيادة رئيس الوزراء، هناك صراع دائر الآن بين الأحزاب الشيوعية العربية والوطنية في كثير من دول العالم العربي وإذا ما نظرنا إلى وضع الجمهورية العربية المتحدة على سبيل المثال، سنجد أن الأحزاب الشيوعية العربية تهاجمها وهم بذلك يخدمون مصالح الدول الغربية والصهيونية العالمية وإسرائيل وهذا يساعد في أن يلعب « التحرك هنا دوراً كاملاً بهذه المنطقة».

**ـ ج ـ**: لا أريد التدخل في الشئون الداخلية للدول العربية .... ولكن إذا ما تحدثنا بوجه عام، فإنني أرى أن التفاهم المتبادل والتعاون بين كافة أطياف أي شعب سيكون له تأثير قوي على تهيئة الاستقرار والقضاء على الامبريالية...

**سؤال**: سرعان ما تحدث تحولات اجتماعية ومجتمعية عقب كل حركة تحررية وبعد طرد المستعمرين . وهذا يحدث عند معالجة المشاكل

الاجتماعيـة . وهذه التحولات من شـأنها وأن تخلق وجهات نظـر متناقضة فيما بينها حول تطوير البلاد ونهضتها... فبعد انتهاء نضال التحرير في الدول العربية وقع اشتباك بين القوى الوطنية والشيوعية : حيث يتبادل الطرفان الهجوم فيما بينهـم . إذا ما هاجمـت القوميات العربية الأحزاب الشـيوعية التي تناضل معها، فهذا يمس مشـاعركم كما جاء على لسانكم ذات مرة . كيف يمكن لنا معالجة هذه المشـاكل دون المسـاس بمشـاعركم وما هي الكلمة التي تليق بوصف ما حدث ؟

**ـ ج ـ:** من الطبيعي أن نتعاطف مع كل من يحمل نفس أفكارنا ومبادئنا، لكـن ليس لدينا أي اتصال مباشـر معهم . اعتقد أن الوضـع الحالي في الدول العربيـة لا يرحب بإقـرار النظام الشـيوعي ... [٦٣] أن دولتنا – الاتحاد السـوفيتي – هـي دولة أقوى منكم بشـكل كبير، ولكننا حتى الآن لم نرسـخ نظام شـيوعي كامل كما ينبغي أن يكـون . وأية حكومة جديدة عند قيامها بتأسـيس دولتهـا (كما ورد بالنـص ) لابد لها وأن تجـري مصالحة بين كافة فئات الشـعب المختلفة ، أما فيما يتعلق بالوصف الذي سـألتني عنه، فلا يوجد وصف لما حدث، فكل قائد يفكر بطريقته الخاصة.

**سـؤال:** أخذ الحزب الشـيوعي المصري منذ نشـأته في مهاجمة ثورة ٢٣ يوليو، وبدأت حكومة الثورة بالقاهرة في محاربة نشاط هذا الحزب منذ أيامها الأولى. وقد بدأ الحزب هذا الصراع في غضون السـنوات الأخـيرة، عندما وصل التعاون فيما بيننا وبينكـم إلى قمته . وفي الوقت نفسه، ألا تعتبرون أن هذه السياسة تشـكل عراقيل تؤثر علـى العلاقات فيمـا بيننا .... هل تغـير موقفكم في الوقت الراهن؟

**ـ ج ـ:** سبق وأن قلت لك انه لا توجد أزمة في العلاقات الثنائية بيننا، فكل ما هنالك هي اختلافات فكرية وسياسـية فقـط . لديكم معتقداتكم ولدينا معتقداتنا . أعتقد أن الدول ذات الأنظمة السياسية والفكرية المختلفة قادرة على التعايش في سلام .

---

(٦٣) من المرجح أن يكون قد تم كتابة هذه الجملة بحروف بارزة عند نشرها بالصحيفة .

**سؤال** : كتبت صحيفة «تايمز» اللندنية في عددها الصادر في ٢٦ أكتوبر، إنكم قمتم بتغيير معاملتكم للدول المحايدة . ما هو رأيك، سيادة رئيس الوزراء، في هذا التصريح ؟

**-ج-**: نحن لانقوم بتغيير سياستنا مثل تغيير «الأحذية الليلية»، فنحن نلتزم بسياسة عدم التدخل في الشئون الداخلية للدول الأخرى . وندعم ونساند كل دولة تحارب التكتلات العسكرية . لدينا الرغبة في القضاء على تلك التحالفات العسكرية، وإذا ما وافق الغرب على حل تحالفه العسكري، سنوافق نحن على حل «حلف وارسو».

تحرص سياستنا دائما على دعم الدول المحايدة، ونرحب بأي دولة تسعى من أجل السلام والتعايش السلمي بين الشعوب . وهذه هي سياستنا التي كانت بالماضي وستظل بالحاضر والمستقبل بدون أية تغييرات ..... فنحن لا نغير سياستنا كما نغير « الأحذية الليلية «.

**سؤال** : السيد رئيس الوزراء، لقد ساعدنا الاتحاد السوفيتي في تسليح جيشنا منذ عام ١٩٥٥ ولن ننسى تلك المساعدة التي قدمها لنا بهدف قطع الطريق أمام احتكار السلاح الذي كنا نعاني منه منذ عام ١٨٤٠.... هل تغير سياستكم في هذا المجال ؟ مع الوضع في الاعتبار أننا نرحب بحفاوة باقتراحكم الخاص بنزع السلاح الشامل . من الطبيعي ألا توافق على أن نقوم بنزع السلاح بمفردنا لكي نوقف عملية التسلح في الوقت الذي نجد فيه الغرب و إسرائيل يواصلون التعاون في مجال تمويل السلاح؟

**-ج-**: إذا ما تقرر البدء في عملية نزع السلاح، لن يكون هناك أي حجة أمام أية دولة للحصول على السلاح . ولكن إذا لم يتم حل هذه المشكلة، فمن الطبيعي أن تظل أمامك إمكانية تسليح جيشك وسيظل أمامنا الفرصة لتقديم المساعدة لكم في الحصول على السلاح وماحدث بالماضي هو خير دليل على ذلك .

**سؤال**: السيد رئيس الوزراء، قدر الشعب العربي إسهاماتكم في تنفيذ المرحلة الأولى من إنشاء مشروع السد العالي ... ترى إذا ما تقدمت الجمهورية العربية المتحدة بطلب لديكم للحصول على قرض لتمويل المرحلة الثانية من هذا المشروع، هل أنتم مستعدون لذلك ؟

**ـ ج ـ** :نرى أن مشروع السد العالي سيعود بالنفع على اقتصادكم و نحن على يقين من أننا سننتهي من إتمام المرحلة الأولى من بناء السد في المواعيد المقررة، وفيما يتعلق بالمرحلة الثانية، فإننا لم نتلق أي طلب من حكومتكم بخصوص ذلك .... وعلى أية حال إذا ما جاءنا هذا الطلب سنكون مستعدين لدراسته ووضعه محل الاعتبار في الوقت المناسب، وهذا هو رأي الخاص، فحكومتي لا تعلم أي شيء عن هذا الأمر .

**سؤال**: هل يمكنني القول بأنك موافق على هذا الأمر من حيث المبدأ ؟

**ـ ج ـ**: أؤكد لك أنه في حالة التوجه بمثل هذا الطلب، فإن حكومتنا ستناقشه بكل اهتمام لأن مشروع إنشاء السد العالي سيعود بعظيم النفع على شعب الجمهورية العربية المتحدة . وإنني متأكد من أننا مستعدون لتقديم المساعدة للشعب العربي كما سبق وأن ساعدناه من قبل لبناء اقتصاده على أساس راسخ ومتين وبشكل مستقل .

**سؤال**: السيد رئيس الوزراء، نعرب عن بالغ وعميق شكرنا وامتناننا لكم للقرض الذي قدمتموه لنا بمبلغ ٦٢ مليون جنيه مصري، والذي ساعدنا في تنفيذ مشروعات التصنيع في بلدنا . وعلى حد علمي فقد تبقى من هذا القرض هو ١٨ مليون جنيه، هل أنتم على استعداد لتقديم قرض جديد بنفس الحجم للمساعدة في بناء وتصنيع الدولة الجديدة بعد أن نقوم بسداد وتسوية القرض الأول ؟

**ـ ج ـ**: نحن موافقون من حيث المبدأ ومستعدون لمساعدتكم في تنمية وتطوير اقتصادكم الوطني عن طريق تقديم القروض . فقد أصبح لدينا الكثير من الفرص لتقديم المساعدة والقروض نتيجة تنمية وتطوير اقتصادنا وفقا لخطة السنوات السبعة التي وضعناها لبلادنا.

**سؤال**: وافقت حكومتكم من قبل على قرار الأمم المتحدة الخاص بتقسيم فلسطين وعودة اللاجئين إلى منازلهم ودفع التعويضات لهم. اقترح الرئيس جمال عبد الناصر مؤخراً تشكيل لجنة تابعة لمنظمة الأمم المتحدة للرقابة على تنفيذ تلك القرارات. ما رأيك في هذا الاقتراح؟

**-ج-**: لا أتذكر الآن تفاصيل هذا الاقتراح، ولكننا نتعاطف مع العرب واللاجئين الفلسطينيين.

**سؤال**: لم تعرب عن وجهة نظرك من موقف إسرائيل في مسألة الملاحة بقناة السويس ..... هل لي أن أسمع رأيك في هذه المسألة؟

**-ج-**: تقع قناة السويس في الأراضي المصرية، وبالتالي فهي تُعد من مقدرات وممتلكات الجمهورية العربية المتحدة، ولديكم كل الحق خاصة وأنكم في حالة حرب مع إسرائيل. المشكلة واضحة بشكل كامل.

**سؤال**: ما هي وجهة نظركم إزاء نزوح اليهود من الاتحاد السوفيتي إلى إسرائيل؟... خاصة وأن بن جوريون يخرج بتصريحات من حين لآخر حول هذا الشأن.

**-ج-**: إن تصريحات الحكومة الإسرائيلية مليئة بالأخطاء ولا تستند لأي أساس من الصحة، وعلى النقيض فإنني أعلم إن اليهود الذين ينزحون من الاتحاد السوفيتي إلى إسرائيل، سرعان ما يفرون من إسرائيل طالبين العودة مرة أخرى إلى الاتحاد السوفيتي نظراً لتدني وصعوبة مستوى المعيشة في إسرائيل.

**سؤال**: كتبت بعض الصحف الغربية أن شخصية إسرائيلية مسئولة رفيعة المستوى، لا أتذكر اسمه تحديداً، أجرى لقاءات معكم أثناء جولتكم بالولايات المتحدة الأمريكية بهدف التوصل إلى تفاهم متبادل حول مسالة هجرة اليهود من الاتحاد السوفيتي إلى إسرائيل. هل تسمح لي سيادة رئيس الوزراء بالاستماع إلى تعليقك حول هذا النبأ.

ـ ج ـ: عندما كنتُ في زيارة للولايات المتحدة الأمريكية، كنتُ في كامل قـواي العقلية وأتمتع بذاكرة قوية ولا أذكر أن يكون هناك شخص ما قد أتى للقائي والحديث معي في هذا الشأن.

**سؤال**: ولهذا أردتُ أن أبلغكم بأن رفضكم اللقاء مع أحد قادة الحركة الصهيونية أثناء جولتكم الأخيرة بأمريكا كان محل فخر واعتزاز لدى المشرق العربي ... كنا نرغب في أن توضح لنا الأسباب التي دفعتك لاتخاذ هذا الموقف ومعرفة وجهة نظرك حول نشاط المنظمات الصهيونية الدولية .

ـ ج ـ: لا تجمعنا أية مصالح مع هذه المنظمات، ولا نرغب مطلقاً في أن يكون لدينا أية مصالح معهم.

**سؤال**: جاء على لسانكم في الكلمة التي ألقيتها أمام دورة مجلس السوفييت الأعلى، أن الشعب السوفيتي مثل باقي شعوب العالم المحبة للسلام، يشعر بالقلق إزاء الحرب المشتعلة في الجزائر منذ خمس سنوات . هل لي أن اعرف وجهة نظركم إزاء الإجراءات التي ستؤدي إلى تقرير مصير الشعب الجزائري ؟

ـ ج ـ: من الضروري وأن يتم تقديم حق تقرير المصير للشعب الجزائري . وفي حالة إذا ما تم إتاحة هذا الحق له، فمن المفترض وأن يعبر عن رأيه بكل حرية ويقرر مصيره بنفسه .

**سؤال**: كيف يتم إتاحة التنمية الحرة والمستقلة في الوقت الذي يواصل فيه الجيش الفرنسي احتلاله لأراضي الجزائر أثناء إجراء الاستفتاء ؟

ـ ج ـ : مما لاشك فيه أنه في حالة استمرار هذا الاحتلال، فلن يصبح لدى الشعب الجزائري الفرصة في التعبير عن إرادته بكامل حريته . يمكن تسوية كل ذلك وباقي التفاصيل الأخرى ومعالجتها في ظل التفاهم المتبادل بين الطرفين .

# المشاجرة المنسية[٦٤]

حاول الطرفان البحث عن فرصة لإطفاء نيران تلك المشاجرة التي وقعت بينهما. فقد وصل ايجناتي نوفيكوف – وزير الكهرباء الروسي – في زيارة لمصر في يناير ١٩٥٩ [٦٥] للمشاركة في بدء عملية تنفيذ المرحلة الأولى من مشروع بناء السد العالي. وكان خروتشوف قد أرسل معه خطاب لطيف ومتواضع إلى عبد الناصر، جاء فيه أن الوزير سيكون تحت تصرف عبد الناصر لمناقشة أية موضوعات يريد طرحها. وكان هناك هدية صغيرة مع الخطاب تمثلت في: علبة شوكولاته وعلبة كافيار.

كان يحرص جمال عبد الناصر للالتقاء مع أي وزير سوفيتي، وكان يحرص كذلك على أهمية الحديث مع نوفيكوف قبل الاحتفال الرسمي في أسوان. وبالفعل تم تنظيم لقاء حضره السيد موسى عرفة، وزير الأشغال والمهندس الفني المسئول عن مشروع بناء السد العالي. وقد تم تسليم الخطاب والهدية أثناء هذا اللقاء. قال ناصر لنوفيكوف أنه يعتبر أن الاحتفال في أسوان أمر على قدر من الأهمية لدرجة أنه فكر في تصنيع ميداليات ذهبية بهذه المناسبة. وقال عبد الناصر: «أريد إرسال إحدى تلك الميداليات إلى خروتشوف لكي يرتديها يوم الاحتفال».

سأل عبد الناصر نوفيكوف حول وجهة نظره تجاه عملية بناء السد العالي، أجابه نوفيكوف أنه يرى أن تقسيم عملية البناء والتشييد إلى مرحلتين هي عملية مكلفة وستخلق المشاكل. جاء على لسانه يقول: «نحن نقترح على سبيل المثال تحريك كمية كبيرة من الأحجار في المرحلة الأولى ولكن

(64) **Hiekal , Mohamed .Sphinx and Commissar,PP.110-111.**

(٥٦) التاريخ خطأ والصحيح هو يناير ١٩٦٠ .

بعد انتهاء بنائه، سنضطر لإعادة تلك الأحجار إلى أماكنها في المرحلة الثانية. أما إذا دمجنا المرحلتين في مرحلة واحدة، سنستطيع نقل وإزاحة الأحجار في المكان المناسب».

درس الخبراء المصريون هذه المشكلة وقدروا أنها ستزيد من ٢٥-٣٠٪ من تكلفة المرحلة الأولى. قال عبد الناصر لنوفيكوف في الحال: «لقد كنا نفكر دوما في أن تقسيم المشروع إلى مرحلتين هو أمر مكلف للغاية. هل يوافق خروتشوف على مناقشة المرحلة الثانية الآن؟ فهذا مطلبي الرسمي». بالطبع كان هذا الطلب بمثابة مفاجأة لنوفيكوف وقال أنه سيتصل بخروتشوف لإبلاغه بهذا الطلب.

جرى الاحتفال بأسوان في التاسع من يناير وحتى هذا الوقت لم يكن نوفيكوف قد حصل على رد من خروتشوف إزاء طلب عبد الناصر، وبقى نوفيكوف بمصر في انتظار الرد. انعقد اجتماع المكتب السياسي يوم السابع عشر من يناير وفي اليوم التالي خرج نوفيكوف بالبشرى السارة ليعلن أن الاتحاد السوفيتي مستعد لتمويل المرحلة الثانية من بناء السد العالي. واقترح خروتشوف أنه نظراً لضيق الوقت، فإنه ينبغي صياغة هذا القرار من خلال تبادل الرسائل بينه وعبد الناصر. وبعد عدة أيام وأثناء حفل الاستقبال بإحدى السفارات بموسكو، أعلن خروتشوف: «لقد نسينا خلافنا مع مصر، فقد كان ذلك مجرد سوء تفاهم ومضيعة للوقت».